مجموعة قصصية

العروســـــة

عمرو حبيب علي

العروسة

عمرو حبيب علي

تصميم الغلاف : عمرو حبيب

الطبعة الأولي ٢٠١٤

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

مجموعة قصصية

العروسة

م. عمرو حبيب علي

إهداء

إهداء إلي امي الحبيبة ففخرها بي عند قرائتها

أول قصة لي في تلك المجموعة القصصية

كان هو الدافع لإكمالها.

و لرفيقة كفاحي زوجتي الحبيبة

و أطفالي أدهم و إياد و أيتن

فخركم بي و دعمكم لي هو مفتاح النجاح

عمرو حبيب

(١)

وميض الأمل

(١) وميض الأمل

الإسكندرية في ٢٠١٣/١١/٣٠

قبيل أذان الفجر بنحو الساعة و بينما أنا في فراشي إذ فجأة و أنا مستغرق في النوم أشعر بحالة غريبة لم أشعر بها من قبل , شعرت كما لو إنني في برزخ غريب يفصل بين حالة الوعي و اللاوعي حيث إنني كنت أشعر إنني قد إستيقظت لكنني في نفس الوقت لا أملك أي نوع من أنواع التحكم في جسدي فأنا لا أستطيع تحريك أي من أطرافي و لا أجد في نفسي حتي المقدرة علي فتح عيني...

و في وسط هذه الحالة الغريبة التي سيطرت علي و تركتني اتسائل إذا ما كان ما أشعر به حقيقي أم هو جزء من حلم معقد.. رأيت نفسي أري ميدان كبير مترامي الأطراف . أراه من منظور علوي مرتفع منظور يطلق عليه منظور عين النسر Eagle Eye لكن هذا المنظور كان ثابت غبر متحرك أي إنني أرمق هذا الميدان من إرتفاع ساحق لكن بدون أن أجول فيه أو أقترب للحظات ... غريب أليس كذلك ؟؟؟ لكن الأغرب من ذلك هو ما رأيت في ذلك الميدان !!!.

ما رأيته من الوهلة الأولي هو تكتلات مختلفة لأعمدة من لونين الأسود و الكاكي تكتلات لكل لون علي حدة لمجموعة من الاعمدة بلا ملامح أعمدة تشبه ألواح الداما (الدومينو) لكن بلا أرقام أعمدة تتشابه كثيرا فيما

بينها لكن يوجد إختلاف بسيط بينها في إرتفاع هاماتها فمنها من هو الضئيل و منها متوسط الأرتفاع و منها المرتفع لكن في ذلك الحين لم أرمق بينها ما يمكن أن نصفه علي إنه شاهق الإرتفاع... كل تلك الأعمدة في تكتلاتها بلونيها اليتيمين يملآن هذا الميدان و يلقيان بظلال كئيبة و مقيته علي أرجائه المترامية الأطراف بلا حدود واضحة كما لو كان هذا الميدان يمتد و يمتد ليملأ الكون بأكمله .....

في أقصي اليسار من هذا الميدان رأيت شيئا أكثر غرابة!!!! رأيت شقا في تلك الحدود اللانهائية شقا يبدو كممر ضيق أو كأحد الأزقة التي تمتلأ بها بلادنا و علي ناصتي هذا الزقاق التي تشكلان نقطتي إلتقائه بالميدان تقبعان بنايتان عملاقتان بلا ملامح كمسخان خرسانيين أو كشاهدي قبر لعملاقين من زمن سيدنا أدم عليه السلام و من بين هاذين الشاهدين رأيت تدفقات ضعيفة لأعمدة من نوع آخر.

أعمدة مختلفة الألوان متعددتها.... منها الأبيض و منها الأزرق و منها الأسود لكنه أسود زاهي مختلف عن تلك الأعمدة السوداء الباهتة اللون التي تملأ علي الأقل نصف الميدان و منها الأصفر و الأخضر و غيرها و غيرها كل تلك الأعمدة الجديدة بتدفقها الضعيف تحاول أن تشق لها طريقا و أن تجد لها مكان داخل الميدان من خلال هذا الشق و عندها وجدت تلك التكتلات السوداء و الكاكية تتحرك برتابة و خطي ثابته نحو

ذلك الشق محاولة رتقه و غلقه معتمدة علي عددها الكبير و تنظيمها و الرهبة و الخوف اللذان يبثاهما.... و هنا حدث أغرب شيء...

من تلك الأعمدة المتجانسة المختلفة الألوان ....صدر وميض قوي أزرق اللون يبدوا كالبرق و تزامن مع هذا الوميض موجة من التضاغط و الذبذبة تشبه تلك الموجات التي تصاحب الإنفجارات من موجات التخلخل و الغريب ليس هذا الوميض و موجته فحسب لكن الغريب هو تأثيره علي تكتلات اللونين اليتيمين المتاخمين للأعمدة الجديدة.

لقد رأيت تلك التكتلات القريبة من مصدر الوميض تنثني بشدة و قد إصطبغت بلون الوميض الأزرق ثم للحظات ظننت إنها ستنكسر أو تتمزق لشدة إنثنائها لكنني في النهاية رأيتها تعود لإستقاماتها لكنها تتفكك ...

نعم تلك التكتلات التي كانت قد أوشكت علي الإنكسار تفكك لأعمدة منفصلة . نعم ما زالت بنفس لونيها اليتيمين لكنها أصبحت منفصلة و أصبحت قاماتها تكاد تكون واحدة بإرتفاع واحد و أخذت تلك الأعمدة تذوب ما بين الأعمدة الجديدة المندفعة من الشق و التي أخذ إندفاعها يزيد رويدة رويدة و بذوبان تلك التكتلات الملاصقة لها أصبحت تشغل حيز أكبر داخل الميدان الكبير.

و هنا أخذت باقي التكتلات يتيمة اللونين في الأضطراب و التحرك بصورة أسرع و أقل تنظيما تجاه تلك الأعمدة و هنا تكرر ذلك الحدث مرة أخري الوميض و الموجة المصاحبة له تاركا تكتلات أخري لتتفكك و تذوب و هكذا دواليك حتي أصبح الميدان بأكمله ملئ بتلك الأعمدة المختلفة الألوان المتجانسة فيما بينها و المتقاربة في القامات و هنا بدأت تلك الجموع بالتحرك ناحية اليمين في إصرار غريب مطلقة المزيد من الوميض و موجاته و هنا تسائلت ما الداعي؟ ما الداعي و قد ذابت كل التكتلات يتيمة اللونين ؟؟؟ و أخذت أحاول السيطرة علي المنظور الذي أشاهد به الأحداث منذ بدأت لكي أديره ناحية اليمين قليلا لأري إلي ماذا تتحرك تلك الأعمدة و علي ماذا تظل تطلق وميضها و موجاتها في هذا الإصرار ؟؟؟

نجحت أخيرا .... بعدما نزفت من العرق في حالتي البرزخية الغريبة تلك الكثير و الكثير و هنا هالني ما رأيت رأيت في أقصي اليمين تكتلا صغيرا يتكون من عدة أعمدة شاهقة الإرتفاع لها ألوان مختلفة كاكية و سوداء و رمادية و زرقاء و حتي منها البيضاء لكنها كلها كانت تتفق فيما بينها في إرتفاعها الشاهق المخيف مقارنة بباقي الأعمدة الأخري في الميدان حتي المرتفع منها و رأيت تلك الأعمدة تنثني و تصطبغ بشدة أمام الوميض و موجات التضاغط المتلاحقة تنثني بشده دون أن تتكسر بل علي العكس تحاول الإنتصاب و نفض اللون الأزرق من عليها و

أحيانا كانت تنجح لكن الأعمدة الضئيلة في الميدان كانت ما زالت علي إصرارها المميت و زحفها المقدس تجاههم و هي تطلق الوميض و الموجة واحدة تلو الأخري في إيقاع أخذ يتسارع قليلا في البداية ثم أصبح سريعا حتي إنني خفت علي عينيي المغلقتين اللتان لا أقوي علي فتحهما من العمي.

و هنا وجدت تلك الأعمدة الشاهقة في أقصي اليمين قد إنثنت بشده حتي كادت رؤوسها أن تلامس أرض الميدان و قد إصطبغت بلون أحمر دامي لا أعرف من أين جاء و أخذ إنثنائها في الإزدياد و لونها الأحمر يزداد قتامة حتي فجأة إنهارت. نعم إنهارت تفتت لم تذوب وسط الجموع كباقي الأعمدة القديمة لكنها إنكسرت و تفتت تحت قواعد تلك الأعمدة المختلفة الألوان المتجانسة... و رأيت في أقصي اليمين أيضا فوق موقع تلك الاعمدة الشاهقة المنهارة مجموعة من الكتل المستطيلة الخرسانية تتفتت أيضا مع إنهيارهم و يخرج منها العديد أيضا من الأعمدة مختلفة الألوان لتذوب وسط الجموع ليصبح الميدان كله خليط متجانس هادئ ينظر نحو الشمال في هدوء و ترقب منتظرا لشمس الصباح أن تشرق عليه و قد سيطرت عليه حالة من النشوة لا أراها علي وجوه فلا وجوه هنا في المشهد لكن في الهواء في كل شيء. نشوة إمتدت إلي برزخي الذي ما زالت عالقا فيه و في النهاية قامت تلك الجموع بإطلاق وميض

أخير وميض من الأمل و ميض أجبر الشمس علي السطوع لتضيء الميدان و لتجبر برزخي علي تحريري أخيرا.

تحررت .. قمت من نومي و أنا غارق في عرقي أتململ أحس كأن الصحراء قد شقت طريقها في فمي و في حلقي ... قمت و مع ذلك قلبي ينبض بقوة و عقلي المضطرب عاجز عن تفسير ما رأيت و ما شعرت... أراكم تتهامسون فيما بينكم تضحكون و تحاولون مداراة إبتساماتكم و غمزاتكم لكني أراكم ... أكاد أيضا أن أقرأ ما يجول في عقولكم من تعليقات سخيفة علي مثال "إبقي إتغطي و إنت نايم" و "إنت تقلت في الأكل قبل ما تنام ؟؟" كل هذه التعليقات أكاد أن أسمعها بأذني ...

لكني قد سردت لكم ما حدث بكل أمانة و أترك تفسيره لأصحاب الوعي و العقل منكم, أترككم الآن لتناول القليل من الماء و أتناول دوائي الذي نسيت أن أخذه قبل النوم و أخلد إلي فراشي قائلا لنفسي " خير اللهم إجعله خير".

تصبحون علي خير.

الإسكندرية في ٢٠١٣/١١/٣٠

(٢)

طلبات البيت

(٢) طلبات البيت

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠١

" يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم " بهذه الكلمات التي تفوح منها نسمات الإيمان و التي لابد أن تشتشعر منها بساطة و حلاة الإيمان في قلب قائلها و التي ما تلبس أن تصطدم بالطريقة العصبية التي قيلت بها مصاحبة لها ١٠٠ زفرة حارة تنم عن مدي ضيق قائلها مما يجعلك تتسئل عن مغزي قولها ... فأقول لك عادة من عادات المصريين الذين يتفنون في إكساب الأمور بصبغة أخري مغايرة إن لم تكن مناقضة لصبغتها الأصلية فتلك الكلمات التي قد تنم عن إيمان قائلها و توكله علي الله في بداية يومه أصبحت في مصرنا العظيمة تنم عن إصطدام صاحبها بحدث قد يفسد عليه نهاره (غريب هذا الشعب).

نرجع لقصتنا بتلك الكلمات سالفة الذكر بدأ صديقنا في روايتنا الحاج مصطفي يومه في مطلع شمس الظهيرة و هو يستيقظ غاضبا من نومه ... نافضا لغطائه الشعبي بلونه الأزرق المميز "الكبرتاية" في عصبية و بأحد قدميه يبحث عن شبشبه البلاستيكي تحت السرير حتي لا تلامس قدميه الصقيع المنبثق من الأرض العارية في غرفته التي لا يكاد يكسوها شيء اللهم إلا من قطعة من الكليم الأحمر المهتريء.

يبحث بتلك القدم التي تملأ الشقوق جوانبها و مؤخرتها كشقوق في أرض زراعية مرت عليها أشهر عجاف من الظمأ بعد أزمات المياه التي تشهدها البلاد فتتلوي تلك الشقوق كالثعابين في تلك القدم الضعيفة محاولة الوصول إلي أصدقائها من الثعابين الأخري التي تتلوي أيضا في ساق الحاج مصطفي و التي تعرف بإسم "الدوالي" شاهدة علي معاناة صاحبها في الوقوف لساعات طويلة في طوابير طويلة هي الأخري تشبه الثعابين الأسطورية في الأساطير الإغريقية (الهيدرا و هي ثعبان متعدد الرؤوس) و لا عجب من ذلك فالطوابير في مصر لها رؤوس كثيرة فهذا رأس أمام أحد أفران العيش و الأخر أمام مستودع لأنابيب الغاز و الأخر أمام شباك تحصيل فاتورة التليفون و الأخر أمام شباك يصرف العلاج علي نفقة الدولة في أحد المستشفيات الحكومية و الأخر و الأخر..... سلسلة كبيرة من الطوابير تأخذ من عمر المواطن المصري ما تأخذه و تترك له الفتات من الأيام لكي يعيشها يداوي فيها آلامه و أمراضه التي يصاب بها في تلك الطوابير باحثا عن إحتياجاته الأساسية الأدمية.

و بعد معاناة إستمرت ثلاث دقائق وجدها ليست طبعا إحتياجاته الأدمية الأساسية بل زوجي شبشبه البلاستيكي ليقوم مصدرا أصواتا غريبة من الأنين و الزمجرة نتيجة لألام مفاصله و عموده الفقري و النقرس الذي ياكل في قدميه طبعا لكثرة أكل الفول و العدس و ليست اللحوم ويا

للسخرية حيث كانوا يسمون هذا المرض اللعين مرض الملوك أما في مصرنا الحبيبة كما هو حال كل شيئ إنه أصبح مقلوب فهو أصبح مرض العامة و الفقراء.

قام متناولا فوطته البالية التي لا تستطيع ان تميز لها لونا محددا من كثرة ما غسلت و إمتزجت بألوان من ملابس أخري أصبحت هي أيضا بلا لون محدد . قام برحلته اليومية من غرفة نومه مارا بالصالة المركزية لشقته البسيطة المكونة من غرفة له هو و الحاجة و غرفة للأولاد جميعهم اولادا و فتيات ... لا تندهش و تشمئز ماطا في شفتيك السفلي عاضا عليها بأسنانك متسائلا " هي الناس دي معندهاش دين إزاي ولاد و بنات مع بعض في أوضة واحدة ؟؟؟ ده حرام الفصل واجب" يا ليت الحاج مصطفي يسمعك لإلتف إليك مكشرا عن ما تبقي من أسنان بالية في فمه جراء مرض السكري و الإهمال قائلا و هو يصرخ "حرام إيه و حلال إيه يا عمنا ؟؟؟ طب لما يبقي معاشي بعد أربعين سنة شغل في الحكومة ٤٠٠ جنيه و عندي أربع عيال و أمهم يبقي حلال و لا حرام ؟؟ لما العيل من دول يروح المدرسة و يركب الأوتوبيس و تتحشر النسوان وسط الرجالة و الأوتوبيس اللي المفروض يشيل ٥٠ يبقي فيه ٣٠٠ يبقي حلال و لا حرام ؟؟ و لما العيل يخش الفصل يبقي فيه ٧٠ عيل و بنت و برضه لازقين في بعض يبقي حلال و لا حرام ؟؟؟ يا عم الفقر خلا الحلال و الحرام شبه بعض ؟؟؟ جتكوا

القرف قرفتونا في عيشتنا "" ما رأيك في هذا الموشح و وصلة الردح تلك ألم أقل لك .. فمن الأفضل أن تحتفظ بأرائك لنفسك صونا لكرامتك.

و يمر بعد ذلك إلي الحمامطبخ ... نعم أنا قلت حمامطبخ !! .. ماذا تريد ؟ تريد أن تعرف ما هو الحمامطبخ ؟؟ أنا نسيت أن منكم من ولد و في فاهه الملعقة الألومونيوم (لم يعد هناك معالق من ذهب) الحمامطبخ يا سيدي هو مصطلح يطلق علي جزء من الشقق التي يقطنها الفقراء ينقسم من المنتصف بستارة سميكة من المشمع الداكن الذي يستخدم لتغطية السيارات ليجعل هذا الجزء عبارة عن نصفين. النصف الأول حمام يحتوي علي حمام بلدي و خرطوم من أجل النظافة و الإستحمام (إتنين في واحد) و النصف الثاني عبارة عن مطبخ يحتوي علي موقد قديم من فخر صناعة المصانع الحربية و سخان غاز أيضا من باكورة و فخر إنتاج مصانعنا الحربية و ثلاجة إيديال قديمة متآكلة للأسف ليست من فخر إنتاجنا الحربي لعلها تكون في المستقبل ... تريد دبابات و طائرات .. لن أرد عليك .. سأكمل روايتي ... عرفت ماهو الحمامطبخ.

و بعد معاناه لا داعي لذكرها في النصف الحمامي من الحمامطبخ يخرج الحاج مصطفي في حال أسوأ مما دخل "أين ذهب معني و مطلح بيت الراحة ؟؟؟" ليصطدم بجسم هلامي مترامي الأطراف ... نعم هي الحاجة فاطمة زوجته ... فينظر لها غاضبا و يدور نفس السؤال في رأس الحاج مصطفي " هي الولية دي جابت اللحمة دي كلها منين ؟ و إحنا مش

لاقيين ناكل و مابنشوفش اللحمة التانية إللي بتتاكل سبحان الله!!!" غير عالم بأن هذا الإنتفاخ الذي يظنه هو لحما معظمه نتيجه الإستسقاء و الأمراض التي لا يعلمها إلا الله.

فتقول له الحاجة فاطمة " إنت ما بتردش عليا ليه يا راجل ما أنا بنده عليك من الصبح ؟؟؟" علمتم الأن لماذا تململ الحاج مصطفي و هو يقوم من النوم قائلا جملته الاولي " يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم " ... نعم إذا علم السبب بطل العجب.. و يرد الحاج مصطفي "ما كنتش سامع"

" سمعت الرعد في ودانك .. يا راجل هو إنت من ساعة ما طلعت معاش و إنت بقيت زي قلتك" ترد الحاجة فاطمة بهذا الرد المنمق. فتجنبا للشر المستطير من عينها يقول لها "أوئمري.. عايزة إيه ؟؟ "

" إنزل هات الطلبات بتاعت البيت ما فيش حاجة العيال تفطر بيها"

" طب ما ينزلوا هما يجيبوها"

" العيال وراهم مذاكرة و إنت قاعد زي قرد قطع و ماوركش حاجة ... ده إيه الغلب و المناهدة دي !!! ما تسمع الكلام يا راجل"

" يا ماما بلاش بابا ينزل الشوارع فيها مظاهرات و قلق" يقول عمر الولد الأصغر و الذي يحتل المركز الثالث وسط أخوته علياء الكبري يليها محمد ثم أصغرهم هدي.. و لا يكمل عمر كلامه منبطحا و قاذفا

نفسه إلي داخل غرفتهم الوحيدة متفاديا شبشب أمه الذي طار مستهدفا رأسه وبالأخص عينه كقناصي العيون في شارع "محمد محمود" مع وجود فارق أن الحاج مصطفي لم يكن ليقل لها " الله ينور يا حاجة جت في عين أمه" لأنه حينها ستكون عينيه هي الهدف الثاني للفردة الأخري من شبشب أم علياء " الحاجة فاطمة سابقا".

فينسحب الحاج مصطفي إلي غرفته ليعدل من هندامه لكي يتسطيع الخروج إلي الشارع يقوم بإرتداء سترة الترنج الرياضي البالي الذي كان يرتدي بنطاله فعليا في النوم و واضعا قدمه في حذاء رياضي متهالك بلا شراب فشرابه الوحيد في الغسيل ينتظر دوره لكي يختلط لونه بألوان أخري في الغسلة القادمة .

خارجا إلي الشارع متمنيا أن يوفقه الله في مهمته الصعبة من أجل تجاوز فرق الأمن المركزي و المدرعات التي وجدها مصطفة في طريقه إلي السوق المجاور و أفواج المتظاهرين التي بدأت تلوح في الأفق راسمة خطوط من التجهم و القلق علي وجوه أفراد و ضباط قوات الأمن المركزي الذين بدأوا في تعبئة أسلحتهم بقذائف الخرطوش و قنابل الغاز.

مترجيا توجه الحاج مصطفي إلي ضابط بترتبة نقيب في عمر إبنته الكبيرة علياء أن يسمح له بالمرور من خلال الكردون الأمني لكي

يستطيع التوجه إلي السوق لإحضار طلبات الحاجة فاطمة و إلا سيصبح نهاره أدكن من لون البدلة التي يرتديها سيادة النقيب ... لكن رجائه هذا لم يجد مقابله سوي نظرة حادة من النقيب و لو كانت النظرات تحرق لحرقت عم مصطفي في الحال ... و هنا قرر عم مصطفي أن يتوجه إلي إحدي رؤوس الشوارع الجانبية مختبأ في مدخل إحدي العقارات المناوئة منتظرا لمرور المظاهرة ...و مع مرور بضعة دقائق بدأت طلائع الشباب المتظاهر في الظهور حاملين في أيديهم أعلام البلاد و لافتات تحمل العديد من الشعارات عجز الحاج المصطفي عن تفسيرها و فهم محتواها هذا مع تعليمه المتوسط و إنشغاله بالبحث عن لقمة العيش طوال سنون حياته و العمل بالنصيحة "إمشي داخل الحيطة .. تاكل سكر كما النمل" إلا إنه عجز عن أكل السكر و أصابة داء السكري بدلا منه (مع جهله إنه لا علاقة بينهما) ... كانت اللافتات تحمل أيضا بجانب الشعارات العديد من صور أشخاص مختلفين الأشكال و التوجهات منهم من يدل شكله علي رغد الحياه و منهم البسيط و منهم الملتحي و منهم المحجبة و منهم المسيحي و منهم شيخ الأزهر منهم الأطفال و منهم الكبار صور عديدة كما لو كانوا يحملون ألبوم صور لشعب مصر بكل طوائفه لكنهم إجتمعوا فيما حدث لهم لكي توضع صورهم علي تلك اللافتات فهم شهداء و معتقلون و معذبون و مقهورون و مسحولون و مهتوكة أعراضهم هذا ما جمع بينهم الظلم و الإستبداد.

و في وجه هؤلاء الشباب بلافتاتهم و اعلامهم بدأت اداه القمع و محركها الشيطاني في العمل ممثلة بمدافع المياه التي إنطلقت كالأفاعي تزيح كل من امامها بلا تمييز مرورا بقنابل الغاز التي تتساقط فوق رؤوسهم كالمطر و طلقات الخرطوش تستقر في عيونهم و رؤوسهم و بطونهم و صدورهم في كل مكان في اجسادهم من المفروض ألا تستقر فيه طبقا للأعراف و القوانين الدولية إنتهاءا بالطلقات الحية التي تطيح بهم كاتبة ما يحدث في خانة جرائم الحرب.

و أثناء كل هذا عم مصطفي كان يتواري في مدخل العقار المجاور للأحداث محتميا من كل ما يحدث عاصرا في يده حقيبة السوق و في اليد الأخري الورقة التي بها الطلبات... و بينما هو يحاول أن يطل برأسه من باب العقار يري امامه شاب في عمر إبنه الأكبر"عمر" يقع أرضا جراء أصابته بجموعة من طلقات الخرطوش في ساقيه و تبدأ ستائر الدخان المتصاعدة من القنابل المسيلة للدموع في الإحاطة به كوحوش الضباب و رغم أن هذا الشاب كان ملثما بشال فلسطيني إلا أن الدخان كان يتسرب إلي رئتيه فأخذ يمد أيديه حوله باحثا عن أي طوق لكي يتعلق به لتلتقي عينيه بعيني عم مصطفي الملتاعتين فتتألق عين الشاب كمن وجد طوق النجاه و يمد يده تجاه عم مصطفي . لتنتقل عيني عمي مصطفي ما بين عيني الشاب و يده الممدودة في سرعة تتناسب مع دقات قلبه المضطربة و تمر الثواني كالسنين ما بين الإثنين

الذي لا يفصل بينهما أكثر من مترين لتنتهي تلك الملحمة الصامتة بعم مصطفي يتخذ اغرب قرار قد يكون إتخذه في حياته قرارا بأن يلتف واضعا ظهره للشاب و في نفس الوقت غالقا لباب العقار.

و تتصاعد دقات أقدام رجال الأمن من الشاب و يتصاعد معها دقات قلب عم مصطفي و يزيد معها عصره لورقة الطلبات في يده.. و كل ما يشغل عقله هل سيستطيع إحضارها لزوجته ام سيكون يوما أسود في المنزل الصغير لأنه بسبب المظاهرات لم يستطيع أن يقضي و يحضر تلك الطلبات.

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠١

*

(٣)

قنبلة الغاز

(٣) قنبلة الغاز

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠٢

بأصابع مرتعشة إمتدت يدي هارون تتحسس قنبلة الغاز المسيلة للدموع من علي مكتب أخيه الأكبر أحمد ... أخذ يتأمل الكلمات المنقوشة عليها باللغة الإنجليزية و هو يحاول أن يصلح من وضع نظارته الطبية فوق انفه المدبب محاولا قرائتها لكن مع صغر حجم الكلمات و تحالف ذلك مع ضعف نظره الشديد لم يمكنوه في وضعه المرتعش الحالي المتسلل من أن يفك طلاسم و معاني تلك الكلمات و التي بالرغم من ذلك ساعده ذكائه الفطري علي معرفة أن هذه الكلمات تدل عل نوع و طراز و تاريخ الصنع و بلد المنشأ و العديد من المعلومات المتعلقة بتلك القنبلة.

و بنفس الأصابع المرتعشة إستمر هارون في إستعراض القنبلة حتي وصل لمبتغاه ... لتلك الكلمات العربية البارزة التي من الواضح إنها قد تمت إضافتها إلي القنبلة ... طبعا فأي مصنع محترم للأسلحة هذا الذي سيقوم بكتابة تلك الكلمات علي إحدي قنابله التي من المفترض أن الغرض منها هو تفريق من ستنهال علي رؤوسهم تلك القنبلة و إخواتها باعثة لتلك الغازات الكريهة المنفرة التي تعمل علي إستدرارا دموعهم بصورة كبيرة كما لو كان عيني كل فرد منهم تفرز دموع تساوي ما تفرزه عشرة أعين كانت تنتحب عند رحيل العندليب الأسمر أو رحيل

كوكب الشرق أو تنحي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر إو عند سماع خبر رسوب أحدهم في الثانوية العامة أو خبر رحيل مصر من تصفيات كأس العالم (مع أن هذا الخبر أصبح لا يبكي أحد لكثرة تكراره), لا لتجميعهم كما توحي تلك الكلمات.

فهذه الكلمات المنقوشة عليها باللون الأحمر القرمزي علي هيئة نقاط كل نقطة علي شكل قلب دامي لتشكل كل مجموعة من القلوب حرف من حروف تلك الكلمات مظهرة بتلك الطريقة التي كتبت بها ان كاتبها عاشق ولهان حريص علي إيصال كل دقة نبض في قلبه إلي من سيقرأ تلك الكلمات التي تقول:

"ك م آمزىي هلئ عمئقىلك لكتلةئ م

ي هلـ ةلاإيمئ غىلك لمخئ م ""

بهذه الكلمات البسيطة أخذت الذكريات تتسرب من ذاكرة هارون إلي عينيه واضحة في إختلاجاتها السريعة و هو يتذكر حديث أخيه الأكبر أحمد عن يومه في ميدان التحرير يوم الثامن و العشرين من يناير عام ألفان و إحدي عشر اليوم الذي إتفق الجميع و سجله التاريخ بإسم "جمعة الغضب" اليوم الذي كان بداية صعود ثورة شعب مقهور و كيف تحرك هو و زملائه من شباب كلية الهندسة بجامعة القاهرة إلي الميدان طبقا للتنسيق الذي تم معهم من خلال صفحات مواقع التواصل الإجتماعي مع

قيادات شابة من العديد الحركات الثورية كحركة "٦إبريل" و "جبهة الوطنية للتغيير" و غيرها من الحركات إنتقاما لما حدث من تصرفات الشرطة الوحشية و محاولات قمعهم عندما خرجوا علي بعض الشباب الثائر يوم الخامس و العشرين من ذات الشهر معلنين بداية سقوط دولة الظلم.

و حكايته عن إنضمامه هو و زملائه إلي العديد من الشباب و الشابات من مختلف طوائف المجتمع و الذين كانوا يملئون شوارع مصر متجهين إلي الميدان رمز الثورة إلي "ميدان التحرير". و كيف بدأوا في الإلتحام مع قوات الأمن بدون خوف أو رهبة و كيف لم يروا هراواتهم و دروعهم و بنادقهم و هم يرتمون عليهم و الواحد منهم يأخذ معه أرضا ما يزيد عن الثلاث أفراد من الأمن في أن واحد و كيف كانوا يتكاتلون محاولين أرجحة عرباتهم و مدرعاتهم و كيف إستطاعوا إحراق إحداها.

و حكي أيضا عن زميله البطل و كيف صعد إلي قمة أحد عربات المطافيء و التي كانت تحاول قوات الأمن إستخدامها لا في إطفاء النيران المشتعلة في عرباتهم, لكنهم كانوا يحاولون إطفاء النار المتأججة في صدور هؤلاء الشباب و لكن هيهات فها هو هذا الشاب الواعد يعتلي العربة و هي تتحرك في خفة و مرونة تفوق أبطال أفلام الحركة في السينما الأمريكية محتضنا ضابط الأمن الذي يوجه مدفع المياه الخاص بالعربة ليأخذه و يهوي به أرضا في مشهد رائع.

ختاما بأخر مشهد يقف عنده أحمد دائما و هو مشهد كيف أخذت قنابل الغاز المسيلة للدموع تلك تنهال عليهم كالمطر ينهال صيفا علي إحدي الغابات الإستوائية الحارة. و كيف كان مخزونه من الخليط المكون من الخل و الماء قد نفذ و هو يستخدمه هو و أصحابه و كيف سقطت تلك القنبلة التي ما بين أصابع هارون الآن تحت قدمه و هو كان قد إستنشق من الغاز ما إستنشق ليهوي علي الأرض كبالون تم إفراغه من الهواء فجأة و هو يشاهد الغاز المتصاعد من تلك القنبلة يتغلغل أكثر و اكثر إلي رئتيه و أدرك في تلك اللحظة إن نهايته قادمه قادمه لا محالة..

حتي تلك اللحظة التي إمتدت إليه تلك اليد الرقيقة في ظاهرها و تحمل قوة لا بأس بها في داخلها لترفعه من علي الأرض قليلا و يد أخري تقوم برش سائل علي وجهه عرفه في الفور فهو السائل الذي نفذ منه مؤخرا ليتركه في تلك الحالة البائسة.

و مع إنخفاض معدلات تصاعد الغاز من تلك القنبلة و تأثير محلول الخل و بداية عودة الرؤية المهتزة أحمد رأي الهيئة الخارجية لشخص ذو هيكل أنثوي لكن لا شيئ في ملبسه يدل علي أي أنوثه فهذا القبعة و الشال يخفيان جميع ملامح الرأس و الرقبة و هذا القميص الفضفاض و البنطال العسكري المموه يغطيان أي ملامح لمظاهر انوثه قد تحاول إظهار نفسها من أسفلهم بالإضافة إلي القفازات الجلدية و حقيبة الظهر الذكورية المظهر كل هذا يشوه أي انوثه قد تحاول الظهور لكن بالرغم

من كل هذا التخفي و المظهر الخشن فالعينان الزرقاوتان كلون البحر الصافي البادیتان من خلال الشق ما بين القبعة و الشال الملثم به هذا الشخص مضافا إليهم تلك الأهداب السوداء الطويلة دلت علي أن صاحب تلك العيون لا يصح أن يكون سوي أنثي و مع إتضاح الرؤية أكثر فأكثر ظهر لعينيه جزء من الشعر الأسود الناعم اللامع المعقوص بعناية أسفل تلك القبعة.

تنهد هارون تنهيده عميقة و هو يتذكر ذلك الوصف الدقيق الذي دأب أحمد علي ذكره و كيف تعرف علي ياسمين إحدي طبيبات الميدان وقت قيام الثورة و خطيبته الحالية مكملا تذكره لوصف أحمد كيف قامت ياسمين بإسعافه بصورة إحترافية مع إنها لم تكن قد أتمت حينها عامها الثالث في كلية الطب بجامعة عين شمس و إصطحابها له إلي المستشفي الميداني بجوار مسجد عمر مكرم و كيف ظلت تعتني به حتي تعافي تماما و رجعا معا إلي الصفوف الأمامية و ظلا يلتقيان يوميا في الميدان حتي يوم التنحي العظيم.

و علاقتهما التي إستمرت تحت مرأي و مسمع العائلتين و في قلب الميدان حتي إتفقا علي تحديد ميعاد خطبتهما في الذكري الأولي للثورة العظيمة و قد كان ... و تم الإتفاق أن يعقد القرآن بمجرد إنتهاء ياسمين من دراستها و في ذكري الثورة التالية لتخرجها ليصبح تاريخ لقائهم الأول و خطبتهم و زفافهم متزامنا مع أعياد الثورة التي شاركوا فيها.

و ها قد إقتربت الذكري الثانية للثورة و لذلك أعد أحمد تلك القنبلة التي سقطت بينه هو و ياسمين في لقائهم الأول لتكون هديته لها في الذكري الثانية للقائهم و قد إقتربت تلك المناسبة فاليوم هو الأول من ديسمبر ٢٠١٢, أي إنه يفصل بينهم و بين ذكراهم الثانية عدة أيام.

لم يستطع هارون أثناء جولة الذكريات التي قام بها في دقائق معدودة و هو يتحسس تلك الهدية الغالية التي سيهديها أخيه لمحبوبته و شريكة نضالها, أن يمنع نفسه من الغضب من أخيه الأكبر و من والديه !!! نعم من والديه أليسا هما المسئولين عن إنجابه بتلك الهيئة و عن إنجاب أحمد بتلك الهيئة.

بالطبع هما أخان شقيقان من نفس الأم و الأب لكن هيهات إن صادفتهما و إلتقيت بهما أن يمر علي عقلك و لو لثواني معدودة إحتمال أن تكون هناك أي صلة قرابة ما تربط بينهما... فأحمد طويل القامة ممشوقها عريض الكتفيين ممتليئ بالعضلات نتيجة لممارسته العديد من الرياضات ذو وجه أسمر وسيم حليق الرأس تماما. أما هارون فهو للقصر أقرب في طوله, أما عن هيئته فحدث و لا حرج, فهو نحيل القوام كالقلم الرصاص "كما إعتاد زملائه في المدرسة أن يدعونه" ,نحيل الوجه تكاد تتحسس عظام وجهه من دون ان تلمسه, ذو انف مدبب, قصير الشعر مجعده, تلتهم العوينات التي يلبسها ذات العدسات السميكة نصف وجهه الضئيل. بالإختصار أحمد و هارون يعتبران النقيضان تماما في الهيئة...

لكن ذلك لم يمنع أحمد من ان يكون دائما هو الأخ الأكبر المدافع عن أخيه الأصغر الضعيف في كل شئ بدءا من ضربه و تعنيفه لكل من كانت تسول له نفسه الإعتداء علي هارون (و هذا كان يحدث كثيرا) إنتهاءا بوقوفه إلي جانبه أمام والديه لإقناعهم بالنزول علي رغبة هارون في الدخول إلي معهد العالي للسينما و الفنون المسرحية بدلا من كلية العلوم التي كانا يصران علي إلتحاق هارون بها بعد نجاحه بالثانوية العامة في عام الثورة الأول.

لكن بالرغم من مواقف أحمد تجاه أخيه الأصغر هارون و دعمه الدائم له, لم يستطع هارون ان ينتزع من قلبه هذا الجزء الذي يشعر دائما بالحسد و الغيرة تجاه أخيه الأكبر نتيجه لإهتمام أبويه الدائم به و إنجازاته الرائعة و تفوقه في كل مجالات حياته الدراسية و الرياضية و السياسية و حتي العاطفية, تلك الإنجازات و التفوقات الدائمة المتتالية و الكبيرة التي تجعل أي إنجاز لهارون يبدوا أمامها ضئيلا و تافها لكن أمام ذلك يزيد غيرة و حسد هارون لأخيه حتي كادا أن يفوقا إنجازات أحمد حجما.

كل هذا شأن و ما حدث منذ أسبوع واحد شأن أخر, ما حدث لن ينساه أبد الدهر فهو ما زال يتذكر عندما فوجيء بأخيه أحمد داخل المعهد عنده ينتظره و يحمل لفافة صغيره في يده لا يعلم ما بها, و ما لبس عندما رأه أن لوح له و قدم إليه علي عجل محييا إياه بشده و سائلا إياه عن أحواله

و كيف هو تقدمه في المعهد في قسم الإخراج و كيف هو حاله مع زميلاته من الفتيات الفاتنات في قسم التمثيل و غيرهم من أقسام المعهد المختلفة, كل هذا و هارون يكتفي بالإجابة عن جميع أسئلة أخيه إما بالإيماء أو بهز أكتافه و السؤال الذي يعصف بعقله هو "ما الذي جاء بأحمد إلي هنا ؟؟ فهو لم يفعلها من قبل ؟؟" ليقطع عليه أحمد حبل أفكاره سائلا إياه عن أين يستطيع أن يجد "هناء".

صادما إياه صدمة شديدة جعلت هارون يصرخ داخله بصوت عالي جهوري مكتوم " هناء ؟؟ و ماذا تريد من هناء ؟؟ ألم تكفيك كل نجاحاتك و تفوقك علي طوال سنين عمرنا ؟؟ ألم تكفك ياسمين ؟؟ فجئت باحثا عن هناء ؟؟؟ هناء ؟؟؟ الشيء الوحيد في تلك الحياة الذي ما زال يبقي علي حيا ؟؟ الشيء الوحيد في الحياة الذي يجعل من وجودي قيمة ؟؟"

هناء تلك الفتاة الرقيقة, التي تشبه في رقتها و تكوينها زهرة السوسن الرقيقة, تلك الفتاة التي عرفاها طفلة و كبرت و إشتد عودها معهم و أمام أعينهم و كانت معهم في كل مراحل حياتهم, تلك الفتاة التي تقطن الشقة المجاورة لهم و التي يشاء الله أن تصبح شرفتها هي الشرفة الملاصقة لحجرة هارون مما مهد لهما طريق طويل من الحوارات و المناجاة الطفولية و المراهقة و البالغة ما بين تلك الشرفتين. هناء, التي أصرت أن تلتحق بمعهد السينما مع هارون إن لم تلتحق بنفس القسم فهي في قسم الديكور و هذا شيء طبيعي فلو تحدثنا عن الفنانين و الرسامين

بصفاتهم و هيئتهم و رغبنا في عمل تعريف لهم في الموسوعة البريطانية لتم وضع صورة هناء بجانب ذلك التعريف. بوجهها الرقيق أبيض البشرة المائل إلي الشحوب كدليل دامغ عن الضعف و الرقة في نفس الوقت و أنامل يدها المدببة الرقيقة التي في بعض الاحيان كان يهيأ لهارون إنها تستخدمها في رسم لوحاتها الرائعة بدلا من الفرشاة.

كل هذه المعايشة و الألفة ما بين هارون و هناء من نعومة أظافرهم و حتي شبوبهم عن الطوق و إلتحاقهم بالمعهد العالي للسينما معا نجحت في غرز بذرة لشجرة من الحب في قلوبهم وأخذت تلك الشجرة الآن في النمو و لو أراد الله إستكمال قصتهما لترعرعت تلك الشجرة و أثمرت شجرا طيبا رقيقا كزارعيها.

"كل هذا و يجيء الباشمهندس أحمد ليسألني عنها" دار هذا التساؤل الغاضب في صدر هارون دون أن يفصح به لسانه. فيعض هارون علي شفتيه و يحاول أن يبدوا هادئا و هو يرد علي سؤال أخيه بسؤال:

– و في ماذا تريدها ؟؟

لكن ملامح وجهه الغاضبة و نبرة صوته التي خرجت بالرغم عنه حادة جعلت أخيه أحمد و هو من يتصف بالذكاء و الفطنة يدرك ما يجول بصدر أخيه فيجيبه مبتسما مخرجا لما في الفلافة بحذر عسي أن يشاهده أحد سائلا إياه :

– هل تتذكر هذا ؟

فيري هارون في يده قنبلة الغاز التي طالما حكي عنها أحمد فيرد عليه هارون ساخرا متهكما:

– و هل لدي المنزل حديث أخر غير تلك القنبلة طوال العاميين المنصرمين حتي نستطيع نسيانها ؟؟

– إذن فقد حان الوقت لكي أريحكم منها و لهذا أسألك عن هناء... يرد عليه أحمد ضاحكا

– و ما علاقة هناء بقنبلة حبك تلك ؟؟؟

– لقد قررت أن أهدي إياها لياسمين في ذكري لقائنا الثانية في الشهر القادم .. و أنت تعلم مدي قيمة تلك القنبلة لي ... لذلك قررت أن أهديها إياها .. لكن قبل ذلك أريد من هناء أن تضيف لها بعض الكلمات بأسلوب فني يعبر عن حبي لياسمين ... عرفت الآن لماذا أريدك أن تدلني علي مكان هناء ؟؟ أيها الشاب الغيور؟؟

غامزا أحمد لهارون بعينه .. لاكزا إياه في كتفه لكزة خفيفة لكنها كانت لتسقط هارون..

و بعدها قابل أحمد هناء و ناولها اللفافة الصغيرة التي كانت تحتوي علي القنبلة و ورقة صغيرة كتبت فيها الكلمات التي يراها الأن هارون مضافة علي القنبلة بأسلوب هناء الفني الرائع... لكن هذا اليوم لم يتنهي عند هذا الحد فبعد إنصراف أحمد, جلست هناء مع هارون في كافيتريا حديقة المعهد يحتسيان فنجانان من القهوة و فيما بينهما علي الطاولة ترقد لفافة أحمد الصغيرة حيث أخذت هناء تعبث بأناملها في اللفافة و هي شاردة العقل و هارون يحدق لها متمنيا لو كان لديه القدرة علي سبر أعماق عقلها ليعرف فيما تفكر الآن و دائما. قاطعته هناء فجأة و هي تحدق فيه بعينيها العسليتين قائلة:

– ما رأيك في هدية أحمد تلك لياسمين ؟؟؟ أليست تلك أرق و أجمل هدية من الممكن أن يهديها عاشق لمعشوقته ؟؟ شيء بسيط غير معتاد لكنه صاحب قصة وذكري و معني و قيمة و مغزي لهما هما الإثنان ... يتخلي عنه لها كهدية ..فبذلك يصنع له ذكري ثانية ؟؟ شيء رائع أليس كذلك ؟؟ رائع و رومانسي ؟؟

إبتلع هارون الغصة التي في حلقه بصعوبة و مرارة و هو يجيب عن سؤالها في ألم: –

– بالطبع هو كذلك ؟؟ أنت تعلمين أحمد بالرغم من قوته و عنفوانه لكنه يعشق الرومانسية .

– يا ليتك كنت مثله ؟؟

– ماذا ؟؟؟؟ هتف هارون

– لم أقصد إنك غير رومانسي. بل بالعكس . إلا لماذا أحببتك ؟؟

قالتها هناء بكل الرقة التي تملكها و تمثلها هناء أفضل تمثيل و هي تميل برأسها تجاهه لينسدل شعرها الكستنائي الناعم علي إحدي خديها و هي تميل برأسها يمينا قليلا لتنشر عبير عطرها الهاديء الرقيق ليصل إلي أنف هارون فيستنشقه و يملأ به رئتيه جاعلا الدماء تنفجر في وجهه و جسده لينقض علي يديها ليحتويها بين يديه في لهفة و رقة في ذات الوقت و يهمس لها قائلا:

– أحببتني لإنك لم تجدي رجلا في العالم يحبك كما أحبك.

– أعلم ذلك . ضاحكة أجابت هناء لكنها عادت إلي جلستها الأولي لتقول له :

– ما أقصده يا ليت كان هناك شيء غالي عندك مثل تلك القنبلة ... شيء قوي له ذكري خاصة و قوية عندك .. شيء ليس بالغالي و لا بالثمين .. لكن له معني فتعطيني إياه كدليل علي حبك.

– و هل حبي لك يحتاج إلي دليل أو هدية ؟؟؟ أجابها هارون و هو ما زال يمسك بيديها و يحدق في عينيها.

– لا... طبعا ... لكنها مجرد أمنية .. مجرد رغبة لا أكثر.... أجابته هناء.

أجابته هناء بهذا الرد لتجعل نيران الحسد و الغيرة تندلع في قلب هارون حتي كادت تعصف بكل شيء حتي كادت أن تصهر القنبلة التي تذكر للتو إنها ما زالت في يده و قد مر وقت طويل منذ بدأ إستطلاعه و عبثه بها فأعادها لمكانها قبل أن يراه أحد و بالأخص أحمد . تركها و قد بيت النية علي شيء لو علم والديه و أحمد و هناء به لأتهموه بالجنون. لكن إصراره عليه لن يستطيع أي أحد أين كان أن يثنيه عنه.

لقد سمع أخيه منذ يومين و هو يتحدث في هاتفه الجوال مع أصدقائه من النشطاء الثوريين و يتفق معهم علي الإعتصام الذي سيقيمونه أمام القصر الرئاسي بالإتحادية إعتراضا علي سياسات الرئيس الجديد و المنتمي للإخوان المسلمين و الدستور الذي تمت صياغته علي غير هوي القوة الثورية و التي ينتمي إليها أخيه و الكثير من الكلام الذي في مجمله لا يحمل في معناه لهارون أكثر من إنه هراء و كلام لا معني له. فهارون لم يكن ممن يشتغلون بالسياسة و لا يعبأ بها علي الإطلاق.

لكن هارون مع ذلك و من أجل الغيرة التي تنهش في صدره كذئب جائع وجد أمامه فرخ تائه لا يجد أمه فأفترسه أشد إفتراس. قد قرر النزول إلي الإعتصام الذي تحدث عنه أخيه لمدة يوم واحد و بالأخص في اليوم الرابع من شهر ديسمبر لأن أخيه لن يكون هناك يومها و سيضطر لمغادرة الإعتصام لإرتباطه بإمتحان هام في كليته من أجل رسالة الماجستير التي يحضرها ليضيف إلي إنجازاته إنجاز جديد.

لذا سيتواجد هناك في هذا اليوم مع المعتصمين لعل في هذا اليوم تحدث أي إشتباكات بين قوات الأمن و المعتصمين يستطيع من خلالها ان سيتحوذ علي أي تذكار من جراء تلك الإشتباكات, قنبلة غاز ,طلقة خرطوش فارغة, هراوة , درع , خوذة أي شيء يستطيع أن يجعل منه الهدية و الذكري التي تريدها محبوبته.

و في صباح اليوم المرصود, لم يذهب هارون إلي معهده و إنتظر حتي قام أحمد بالوصول من الإعتصام و الإستحمام و تغيير ملابسه بأخري ملائمة و أيضا إلتهام قضمتين من شطيرة أعدته لها والدته علي عجالة قبل نزوله.

إنتظر هارون حتي فرغ أحمد من كل هذا و دخل إلي غرفة أحمد متسللا ليأخذ حقيبة الميدان الخاصة بأحمد بكل ما فيها من ادوات و اشياء تساعد في الإعتصامات و المظاهرات و الهراء الذي يصر أخيه علي الإنغماس

فيه. و إستغل إنشغال والدته بتنظيف أطباق و أدوات الإفطار في مطبخ المنزل لينادي عليها و هو يتسلل قائلا لها إنه سيضطر إلي النزول لملاقاة بعض من أصدقائه من أجل مشروع يعملون عليه معا في المعهد.

فأجابته بالموافقة بدون أن تترك ما في يديها من أعمال طالبة منه أن يحترس لنفسه و أن يبتعد عن المناطق الساخنة و بالأخص الإعتصام الذي يشارك فيه أخاه فيكفيها قلقها علي أخوه فهي لن تتحمل أن تقلق عليه هو أيضا و هو به من الضعف و قلة الحيلة ما هو به و إنه لن يطيق و لن يتحمل ما يحدث للشباب امثاله في تلك التجمعات.

فأجابها إنه لا طاقة له و لا رغبة له في مثل تلك التفاهات و الهراءات.. يكفي علي العائلة أن يحمل أحمد أخيه الأكبر هم البلاد و هم الثورة. أما هو فهو لا يهتم إلا بحال نفسه و همها.. أجابها بهذا و هو يغلق الباب بهدوء و يتجه بخطي حثيثة و سريعة إلي الإعتصام.

و في جانب من الإعتصام و لمزيد من الدقة علي أطرافه و علي جزء بارز من سور قصر الإتحادية جلس هارون في إنتظار مبتغاه .. متمنيا أن يلبي الله مطلبه و أن تحدث الإشتباكات التي يبغاها بسرعة و قبل ميعاد عودة أخيه إلي الإعتصام .. أخذا علي نفسه عهد إنه لن يزج بنفسه في أي إشتباكات أو صراعات لكنه سيمكث بعيدا حتي تنتهي المعركة و يتسلل هو ليجمع غنائمه التي يريدها بعيدا عن أي أذي أو

ضرر قد يلحق به فقوات الأمن متمركزة في الجهة الأخري من الإعتصام و جميع مخيمات الإعتصام و أفراده يفصلون بينه و بين قوات الأمن تلك تاركة له الفرصة في الفرار إذا ما تفاقمت الأمور.

و بينما هاورن في حديثه السابق مع نفسه سمع أصوات جلبة و عراك و لاحظ حركة شديدة و توتر بين المعتصمين.. فأخذ يعدل من وضع عويناته علي أنفه ليري هل قامت قوات الأمن بالتحرك و مهاجمة المعتصمين.. لكن الغريب إنه وجد قوات الأمن في مواضعها ثابتة و إن ظهر عليهم بوادر التأهب و التوتر هم أيضا لكنهم لم يتحركوا من أماكنهم... لذا ما الداعي لكل هذا الهرج و المرج الذي يراه و الأجواء المشحونة بالتوتر التي يحس بها الآن؟

قام هارون من جلسته ليجذب إليه أحد المعتصمين و الذي كان يمر بجانبه بسرعه و ألقي عليه سؤاله :

– ماذا حدث ؟؟ و لماذا كل هذا التوتر و الإضطراب ؟؟ و قوات الأمن لم تتحرك تجاهكم ؟

– إن شباب الإخوان قادمون إلينا بعض أصدقائنا رصدوا تحركهم و تجمعهم القادم إلي هنا . أجابه الشاب المعتصم بتلك الإجابة و هو يجذب ذراعه بسهولة من يد هارون الضعيفة و يهرول عائدا لأصدقائه.

ألجمت المفاجأة هارون .. إخوان قادمون و ما حاجتي أنا لهجوم الأخوان أريد من الأمن أن يهاجم هو و إلا كيف سأحصل علي ما أبتغي.. لكن ما المشكلة فبالتأكيد لو هجم الأخوان علي المعتصمين ستقوم قوات الأمن بفض الإعتصام و إخلاء المكان من هذا و ذاك.. أخذ هارون يطمئن نفسه بهذا الكلام و تلك الإحتمالية.

و لم تمض دقائق معدودة ,حتي بدأ بالفعل هجوم الإخوان علي المعتصمين في الإتحادية و ضربهم لهم و تحطيمهم لمخيماتهم و معداتهم و كل هذا يحدث تحت عين الأمن و بدون أي تدخل منهم.. كل هذا و بطلنا هارون ملقي علي الأرض و دمائه تسيل من رأسه عقب هجوم أحد شباب الإخوان عليه و ضربه علي رأسه بقطعة من الخشب واصفا إياه بأقذر النعوت و الصفات ثم تاركا إياه غارقا في دمائه ... ليحاول هارون الزحف بعيدا عن المكان بدون جدوي فقواه الضعيفة أصلا تتلاشي و تخور مع دمائه التي تسيل حتي وجد قدما لأحدهم بجانبه فأمسك بذيل بنطاله جاذبا له. وهنا مال عليه هذا الشاب الذي كان من الواضح إنه أيضا كان من المعتصمين فدمائه أيضا كانت تسيل منه لكن حاله كان أفضل من حال هارون فقال له هارون و هو يستجمع القوة الباقية فيه ليسأله بكلمات متقطعة :

– الأ... من هل ها....جموا ؟ هل قذفوا قنا....بل غ.....از ؟

– كلا الأمن لم يهاجم. كفي علينا هجوم الإخوان ال..... ؟ رد عليه الشاب المعتصم المصاب و هو يكمل حديثه بسب و قذف الإخوان.. فيقطاعه هارون سائلا إياه بصوت متقطع أيضا:

– إذ...ن ل...يس هن....اك.... قنا....بل....غا....ز؟

–هل إنت مجنون ؟ قنابل غاز ماذا التي تسأل عنها ؟؟ ليس هناك غاز ؟؟ الأمن يرقبنا و نحن نضرب .. رد عليه الشاب و هو يلوح لشاب أخر ليجيء إليه... و كان أخر ما سمعه هارون قبل أن يفقد الوعي هو صوت الشاب المصاب و هو يطلب من زميله أن يحمل هارون معه إلي المستشفي الميداني.. فإبتسم هارون قائلا لنفسه ساخرا " ليس هناك قنابل غاز و لن ألاقي هناء في المستشفي الميداني هنا فهي ليست بطبيبة كخطيبة أخي ياسمين, يا لسوء حظي" و هنا فقد هارون وعيه تمام.

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠٣

(٤)

خمسة جنيهات و نصف

(٤) خمسة جنيهات و نصف

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠٤

طفق علاء يلوح بتلك القطعة من القماش البرتقالية اللون .. تلك القطعة من القماش المميزة اللون التي تميزه عن باقي المتسوليين الأخرين في تلك المنطقة .. فعلاء هو الوحيد الذي لا يقبل من أحد أن يطلق عليه متسول. فمن وجهة نظره هو فهو يعمل و لا يتسول فوقوفه في تلك المنطقة المزدحمة دائما العامرة بالبنوك يجعل حركة السيارات في تلك المنطقة كحركة شغالات النحل داخل خلية النحل مما يجعله يظن في نفسه إنه هو الملكة لتلك الخلية فبدونه كما يظن لن تستطيع أي من تلك السيارات الخروج أو الدخول أو الوقوف.

فهو المسئول عن إيقاف تلك السيارات و تنظيمها و تحريكها بمعني أخر فهو يمتهن تلك المهنة التي إتفق أن يطلق عليها "الركين" و هي ليست بمهنة بالمفهوم التي يتم تعريف أي مهنة بها "فالمِهْنة هي العملُ الذي يحتاج إِلى خِيرة ومَهارة وحِنق بممارسته" أو هي "وظيفة منتظمة وخاصّة لشخص مناسب ومؤهّل لهذه المهنة" و علاء لا يمتلك أي خبرة أو مهارة فيما يخص السيارات فهو لا يستطيع القيادة و لم يجلس في يوم من الأيام خلف عجلة قيادة أي سيارة أو حتي دراجة بخارية و بالتالي فلا جدوي منه في أن يمد يد العون الحقيقية لأي سائق سيارة من تلك

السيارات التي يتعامل معها. فها هو ذا إذا ما حاول مساعدة أحد أصحاب السيارات في إخراج سيارته من مكان توقفها الضيق تكون النتيجة دائما هذا الصوت " طرااااخ" مصاحبا لتهشم إحدي مصابيح الإضائة لتلك العربة أو أي من العربات المجاورة لها أو صوت "زيييءءءء" مصاحبا لإحتكاك جزء معدني من تلك العربة بعربة أخري ... بمعني أخر أن يساعدك علاء في الوقوف في أو الخروج من مكان ضيق ما بين تلك السيارات فهو كارثة لك و لسيارتك و سيارة غيرك.

هذا من ناحية الخبرة و المهارة و الحنكة الواجب توافرها فيمن يمتهن أي مهنة و التي علمنا أن علاء لا يملك أي منها, أما بالنسبة للتعريف الآخر بأن من يمتهن مهنة يكون منتظما فيها فهذا أيضا لا ينطبق علي علاء فتبعا لطريقة معيشة علاء و أسلوب حياته في السهر الليلي مع أصدقائه الذين "يمتهنون" نفس مهنته لكن يعملون في مناطق أخري أي بمعني أخر من يطلق عليهم " أولاد الكار الواحد" في إحدي أوكار الممنوعات في إحدي المناطق العشوائية المتاخمة لتلك المنطقة الراقية التي يعمل بها (كعادة بلادنا في زرع تلك المناطق العشوائية حول المناطق الراقية كنوع من التخلف و سوء التنظيم) و تجمعهم حول طاولة واحدة يشتنشقون هذا الدخان الأزرق المتصاعد من قطع المخدرات التي يتناولونها علي هيئة سجائر يدوية يحترفون صنعها أو المضافة إلي أرجيلة أحدهم كما لا يمنع ذلك أن يقوم أحدهم مما كان يومه مربحا بان

يدعوهم لتناول زجاجة أو قرصين من تلك الأدوية المدرجة كمخدرات و ذلك لإنه حصل علي مبلغ مالي كبير أو كما يطلقون عليه "نفحة" من أحد السادة مالكي السيارات من بشوات و بكوات العصر الحالي الممثلين في رجال الأعمال اللصوص و الأفاقين و الممثلين و الراقصات كل هذا و هم يقومون بلعب الطاولة أو الداما إلي قرب صلاة الفجر ثم يقومون كل منهم يتكيء علي الأخر لكي يستطيعوا الوصول إلي منازلهم في أطراف تلك العشوائيات التي يقطنونها بعد أن عجزت أرجلهم عن حملهم و عقولهم عن توجيهم إلي طرقهم ... ليرجع علاء إلي منزله ليجد أمه المسنة قد خلدت إلي النوم طبعا بلا عشاء لإنهم قد حظوا البارحة بغداء و هم لا يستطيعون الجمع بين وجبتين متتاليتين فإذا تناولوا الإفطار فإعلم إنهم لن يتناولوا الغداء و ربما أيضا العشاء و إذا تناولوا الغذاء فلن يكون هناك عشاء و لكن ربما يكون هناك إفطار إن تبقي شيء من الغذاء لكي يستطيع علاء تناوله هو و أمه في صباح اليوم التالي قبل أن يتوجه كل منهم إلي طريقة .. هو إلي موقفه و خلية نحله كما يحب أن يطلق عليها و هي إلي أحدي مخابز الخبز لكي تمارس مهنتها الغريبة التي لم يري علاء لوالدته مهنة أخري منذ أن قذفته أمه إلي تلك الحياة.

فأمه هي و مجموعة أخري من الرجال و السيدات المسنين يتجمعون كل نهار منذ شروق الشمس أمام أحد تلك المخابز المنتجة للخبز البلدي و كل منهم يحمل معه إما صندوق كرتوني أو أخر بلاستيكي أو من يحمل

غطاء كبير لقفص خشبي يستخدمه كطاولة لحمل الخبز مثل تلك التي إحترفت والدته في حملها علي رأسها كل صباح لتذهب إلي ذلك المخبز المجاور لمسكنهم لتنتظر هي و رفقائها حتي يبدأ المخبز في إخراج منتجه الغير أدمي و الذي لا يصلح حتي لإطعام البهائم.

و في الوقت الذي يبدأ فيه رواد هذا المخبز المعتادين من الموظفين الهاربيين من أعمالهم و ربات المنازل و الأطفال الذين لا تعليم لهم و لا عمل في التوافد علي هذا المخبز لكي يستطيعوا جلب إحتياجهم اليومي من الخبز تكون والدته و رفقائها قد كونوا ما يشبه بالسياج الفولاذي أو الجدار العازل ما بين هؤلاء الرواد الإعتياديين و إحتياجاتهم من الخبز و تقوم هي و رفقائها بشراء كميات كبيرة من الخبز لكي يقوموا بتكديسها في صناديقهم أو علي طاولاتهم ثم يقومون بإفتراش الرصيف المجاور للمخبز منهم من يترك الخبز حتي يبرد و هو مرتص علي تلك الطاولات أو من يقوم بوضع مجموعة من الجرائد مفترشا بها الرصيف و يقوم بإفراد أرغفة الخبز عليها حتي يبرد.

ثم يقومون بعد ذلك بفرز هذه الأرغفة طبقا لجودتها و التي يمكن تصنيفها أدميا إلي سيئة و سيئة جدا و سيئة جدا جدا فيقومون بوضع مجموعات من عشرة أرغفة من كل تصنيف في حقائب بلاستيكية منفصلة و يرحلون وتبدأ رحلة أخري من توزيع تلك الأكياس علي منازل و شقق لأفراد بينهم و بين والدته و امثالها من بائعين الخبز

إتفاقا علي توريد تلك الأكياس من الخبز لهم كل يوم مقابل مبلغ شهري بقيمة قد تصل إلي ضعف قيمة رغيف الخبز الفعلية في سبيل إعفائهم من الوقوف في طوابير التعذيب النازية في بلادنا تلك التي تسمي طوابير الخبز.

و قبل أن يبدأ البعض منكم في تخيل مدي ضخامة هذا المبلغ و تبدأ أصوات الحقد في التعالي و نيران الحسد في الإستعار فتقوم بحرق تلك المرأة المعدمة و أمثالها. دعونا نتخيل بعملية حسابية بسيطة كم من الممكن أن تعود مثل هذه المهنة بالمال علي مرأة عجوز مثل والدة علاء, دعونا نفترض أن المخبز قد يسمح لها بالحصول علي مائة رغيف في اليوم و هذا أمر قد يستحيل في بعض الأوقات حدوثة نتيجة لضعف إنتاج تلك المخابز نتيجة لسرقة أصحابها للدقيق و بيعه في السوق السوداء.

لكن دعونا نستكمل مع هذا الفرض إذا فوالدة علاء تقوم بإنفاق خمسة جنيهات لشراء المائة رغيف بالإضافة لثمن الحقائب البلاستيكية التي توزع فيها تلك الأرغفة ثم تقوم ببيعها بقيمة مضاعفة لقيمتها الفعلية أي عشرة جنيهات أي بفرق خمسة جنيهات فقط مع تجاهل قيمة الحقائب البلاستيكية و تكرر ذلك لثلاثون يوما في الشهر بدون أي أيام للراحة و بدون مرض أي في الشهر مائة و خمسون جنيها في الشهر ...

من هذه العملية الحسابية نستطيع ان نخرج منها بنتيجة أن اللعنة عليكم و علي حسدكم و حقدكم ... ما قيمة هذا المبلغ في تلك الأيام السوداء التي نعيشها و كل هذا أمام هذا المجهود الكبير التي تبذله تلك المرأة المسنة العجوز و لا حيلة لها غير ذلك ....

لكن هذا المبلغ المتواضع إن لم يكن الحقير هو أفضل تسمية له إلي جانب الجنيهات التي يجمعها علاء من تسوله المقنع أو مهنته كما يفضل هو تجعلهم يحاولون البقاء علي قيد الحياة بتلبية الحد الأدني من المتطلبات الأساسية للحياة من مأكل و مشرب بدون التطرق إلي باقي الأمور الحياتية الأخري التي تعتبر للبعض أساسية لكنها بالنسبة لهم تعتبر رفاهية كالملبس و المسكن المناسب و العلاج.

و بالأخص العلاج فكم كانت والدته تنتابها نوبات من الألم الشديد في جانبها الأيمن و تقوم هي بكتم أناتها حتي لا يسمعها ولدها ثم تتكأ علي نفسها حتي تصل إلي موقد الكيروسين النحاسي لديهم هذا الشيء العتيق القديم قدمها هي ذاتها فتقوم بوضع إناء صغير به ماء عليه و تشعله مسقطة في الماء بعض أوراق الجوافة وبضع ذرات من الكمون و تتركهم حتي تغلي المياه و تقوم بشرب هذا العلاج البدائي و من ثم تتكيء علي نفسها مرة أخري و تحمل طاولتها الخاصة لتتجه لمصدر رزقها الوحيد.

فالمرض لمثل هؤلاء لا يمكن تحمله أو السماح به فهو منفق للقروش التي لا يملكونها علي الأطباء و الدواء و هو أيضا مانع للقروش أيضا فهم لا يملكون أن يمكثوا في منازلهم بحجة مرضهم فاليوم الذي يقضونه في المنزل معناه يوم بلا طعام علي تلك الطاولة الخشبية القديمة القصيرة و هذا ما لا يقدرون علي تحمله لذا فالمرض رفاهية لا يستطيع أمثالهم ممن يعيشون علي هامش الحياة أن يتحملها.

نعود لعلاء الذي عاد من سهرته اليومية المشبوهة بين المخدرات و رفاق السوء (بدون نساء فهم لا يقدرون علي تكلفتهم) و هو لا يقوي علي حمل ساقيه ليتجه بخطي مترنحة إلي هذا الحائط البالي المواجه لباب الغرفة أو "العشة" كما يسمونها حيث يقع الحوض الوحيد و مصدر المياه الوحيد أيضا لهم ليضع رأسه بالكامل تحت مياه الصنبور الباردة في محاولة منه لإيفاق نفسه قليلا حتي يتسني له إيقاظ والدته كما تعود في هذا الميعاد لكي تبدأ هي نشاطها اليومي.

نشاطها اليومي الذي يمكن سرده إبتداءا من إعداد للقيمات الإفطار و أكواب الشاي الشبه خالية من السكر و الشاي !!! ثم تتجه هي إلي مخبزها و جولتها من بعد ذلك علي منازل عملائها لتعود قبل الساعة العاشرة لتوقظه إن إستطاعت إيقاظه لكي يتوجه هو إلي عمله و تقوم هي بمحاولات يائسة من تنظيف الغرفة التي لا يصلح معها تنظيف و بالأحري لن يصلح معها سوي جرافات الإزالة يوم ما تقرر حكومة

بلادنا الرشيدة الإطاحة ببعض مواطنيها البسطاء من أجل إخلاء قطعة أرض ما من أجل مستثمر ما ليقيم عليها مجمع سكني فاخر أو فندق كبير أو حتي مجمع تجاري عالمي و يصبح مصيرها هي إنها حينئذ تحت عجلات و جنازير تلك الجرافات فهم لا مثوي لهم أخر غير تلك الغرفة ولا يعرفون لهم أقرباء أو أصدقاء من الممكن أن يلجئوا إليهم في مثل تلك الظروف .

لكن حتي يحين ذلك اليوم المشئوم فهي تمضي يومها من بعد ذهاب علاء إلي عمله في تلك المحاولات البائسة للنظافة إلي جانب الإعتناء بثلاث دجاجات هم ثروتها كلها فهي تحافظ عليهم و تعتني بهم كما لو كانوا أشقاء لولدها الوحيد فهم قد يوفرون لها صباحا بيضة أو بيضتان يصلحون للغداء أو أحيانا تترك لهم تلك البيضات عسي أن يحظوا منهم بفرخ صغير تبيعه بجنيهان أو ثلاثة لأحد تجار الدجاج في منطقتهم فيكفل لهم بثمنه غداء من الباذنجان المقلي أو المطبوخ "المسقعة" التي يعشقها ولدها.

و لا يمنع بعد كل هذا و إعدادها الغداء إن كان هناك ما يصلح للغذاء من أخذ قيلولة صغيرة تقوم من بعدها لكي تتسامر مع إحدي جاراتها في أي من العشش الجانبية مسامرات قد تكون بريئة أحيانا أو وقحة أحيانا بالرغم من كبر السن إلا إن هذا لم يمنعها أحيانا كثيرة من أن تختلس السمع للأحاديث السرية بين جاراتها عما حدث بينهم و بين أزواجهم في العروسة

الفراش. فتلك العلاقات الحميمية و ما يتبعها من حكايات للتهويل و الفخر تارة و للتحقير والإستهزاء تارة أخري من شأن ما يحدث في أفرشتهم هو المتنفس الوحيد لمثل هؤلاء من البسطاء و هذه هي اللحظات الوحيدة في أيامهم التي قد تجلب لهم بعض السعادة في أيام الشقاء التي يعيشونها.

ثم ينتهي يومها بتحضير بعض لقيمات للعشاء لو لم يكن هناك غداء كما ذكرنا من قبل, تتناول منها هي القليل لتدرء جوعها تاركة الشق الأكبر منها لولدها حين عودته, و تخلد هي إلي النوم عقب صلاة العشاء طارحة لعظامها النخرة و جسدها الواهن علي إحدي الأريكتين المتهالكتين المتقابلتين في غرفتهم, تلك الأريكتين التي يتوسطهما بساط مصنوع من البلاستيك "حصيرة" في منتصف تقع طاولة الطعام الخشبية القصيرة "طبلية" و قد وضعت عليها طعام العشاء إن وجد في طبق الطعام المعدني اللامع و المغطي بطبق أخر من نفس حجمه و شكله و بجواره رغيف من الخبز المصنف تحت فئة السيء فقط, فهي تجنبه لولدها العزيز عند تصنيفها للخبز صباحا متجاورا مع كل هذه الوليمة هذا الإناء الفخاري للماء "القلة" و أخيرا طبق صغير به بصلة صغيرة أو قطعتين من المخللات.

تخلد أم علاء تاركة كل هذا خلف ظهرها و متوشحة بغطاء خفيف بالي لا يقي عظامها النخرة من قرصات البرد و نهش الريح المثلجة في

جسدها والتي تهب عليها من خلال الشقوق و الفتحات العامرة بها حوائط تلك الغرفة, منثنية علي نفسها علي قدر إستطاعتها لتنام في ذلك الوضع الجنيني حالمة بالدفء غير شاعرة به بالفعل.

لكن في يومنا هذا الذي عاد فيه علاء مترنحا واجدا لوالدته نائمة لم يكن هناك ما يصلح لكي تعد له تلك الوليمة بعدما قضوا علي كل ما كان متاح وقت الغداء.

و بعدما قام علاء بسكب المياه الباردة علي رأسه و تجفيفها بمنشفة توجه إلي والدته, لكي يوقظها علي مضض لأنه يرأف عليها دائما من إيقاظها مبكرا هكذا كل يوم و أخذ يرمقها و هي نائمة بكل حب و رقة.

رقة تختلف تماما عن أسلوبه السوقي و الحيواني الذي يتعامل به مع كل من يقابله و حتي أصدقائه إيمانا منه بأن هذا ضروري لكي يظهر لهم مدي قوته و شجاعته و جراءته فيصبح ذئب و يخشاه الجميع لأنه لو عاملهم كما يعامل والدته لأكلوه هم كما تأكل الذئاب النعجة الضعيفة و هو لن يصبح في يوم من الأيام نعجة. لكنه أمام والدتها يصبح كالحمل الوديع. و حتي تناوله للمخدرات و المكيفات لم يؤثر علي حبه و رقة حاله مع والدته كيف و هو يعلم كم ذاقت الأمرين من أجله فقد إمتنعت عن الزواج بعد وفاة والده مع حاجتها الشديدة لوجود رجل في حياتها فهي كانت ما زالت صغيرة و كانت تحتاج لمن يعتني بها هي و ولدها

لكنها أبت كعادة أمهاتنا الرحيمة في أن تجيء لإبنها الوحيد بزوج أم لا تعلم كيف سيعامله.

لهذا حرص علاء دائما و حتي في أحلك الأوقات و أصعبها علي رضاها عنه و تمثل هذا واضحا في الرقة البالغة التي بسط بها يده بعد صراع مرير مع نفسه التي كانت لا تريد من يده أن تمتد لتهزها في رقة و حنون لتوقظها و ليتركها تحظي بساعتين أخريين من النوم, كلنها إمتدت و اخذ يهز فيها قائلا لها برقي:

– أمي ... يا أمي إستيقظي .. ها قد مر الفجر و أوشكت الشمس علي البزوع ... إستيقظي يا أمي.

لكن الغريب مع تكرار هزات علاء لوالدته و ندائه المستمر لها لم تستيقظ مباشرة بعدها كما إعتادت منذ النداء الأول, لكنها أخذت في الإنطواء علي نفسها أكثر في نومتها مطلقة أنات قصيرة كما لو كانت تعتصر نفسها لكي تخرج تلك الأنات.

صدم علاء من تلك الأنات و تألم والدته الشديد الذي لم يرها فيه قبل و أخذت تلك الأنات تقطع و تعمل أسنانها في قلبه و هو يهزها في قوة أكثر من جراء قلقه البالغ و توتره و لهفته عليها و الذي كان جاليا في صوته و حركة عينيه و هو يقول:

– أمي ماذا بك ماذا بك .. أجيبيني بالله عليك أجيبيني أرجوك.

و عندما لم تجيبه والدته و إستمر أنينها و إنثنائها علي نفسها أكثر فأكثر.. إمتقع لونه حتي كاد يقارب لون الموتي و جذبها إليه ضاما إياها إلي صدره.. غير عالما لما بها و ما يفترض به أن يفعل و إستمر هو في هذا الوضع ضاما إياها أكثر إلي صدره لعدة دقائق حتي إستطاع أن يجمع شتات نفسه ليحملها بين ذراعيه و يهرول بها خارجا من الغرفة, هو الذي كان منذ دقائق لا تقدر ساقيه حمله, لكن حبه لوالدته دفع بالقوة في عروقة حتي كنت لتظنه إنه سيهرول بها إلي أقرب مستشفي لكنه إستوقف تلك العربات الصغيرة المسماة "توك توك" واضعا والدته علي ما يسمي بالمقعد الخلفي لهذا الشيء جالسا هو بجوار السائق الطفل أمرا أيه بصوت يدوي كهزيم الرعد أن ينطلق كالريح إلي أقرب مستشفي لهم.

و بينما كان علاء ينتظر فيما يسمي ببهو الإستقبال للحالات الطارئة بتلك المستشفي الحكومي المناويء لمنطقتهم العشوائية هذا البهو الذي تلوثت جدرانه بكل ألوان الأصباغ و الأدوية المستخدمة في تلك المستشفي و أيضا بالدماء حتي إنك لتشمئز ان تلامس أحد تلك الجدران متخوفا من أن تصاب بأي عدوي نتيجة لتلك الملامسة عالما بالكم الهائل من الفيروسات و الجراثيم و الميكروبات العالقة في تلك الجدران في هذا المكان الذي لم يسمع عن كلمة تعقيم أو تطهير إلا في المناسبات السعيدة

التي يحظي بها بزيارة مفاجئة من مسئول كبير بالدولة, مفاجئة من ذلك النوع الذي يتم الإعلان عنه قبل الزيارة بأسبوع لتختفي تلك المناظر القبيحة و يحل مكانها الدهانات الجديدة و التي تعود لتكتسي مرة أخري في غضون أيام بعد الزيارة بكل تلك الأوساخ و القاذورات.

هذا البهو الذي خلي حتي من كرسي واحد, ما سوي ذلك الكرسي الوحيد المتهالك علي باب البهو و الذي يرقد عليه كجثة إن لم يكن جثة فعلا هذا الرجل المسن الذي لا يقل سوء حاله عن حال والدة علاء شيئا مطوحا برأسه للخلف غارقا في النوم و هو فاتحا لفاه في طريقة توحي أن صاحبه لم ينم منذ أمد الدهر, تاركا علاء يصول و يجول بلا ثبات و إن إمتلأ البهو بالمقاعد, يتحرك في سرعة و عصبية و توتر كأسد لم يذق الطعام في محبسه منذ عدة أيام منتظرا لحارسه الذي لم يطعمه طوال تلك الفترة لكي يفترسه هو ملقنا إياه درس إنه لا يصح أن يتم تعذيب ملك الغابة هكذا.

إستمر علاء في صولاته و جولاته بالبهو حتي إنشقت الأرض عن طبيب شاب مبعثر الحال و الثياب,, يتثائب بشده و هو يتحرك في إتجاه علاء و هو يعبث بأصابعه تاره في رأسه ثم يخرجها ليعبث بها أنفه مرتديا لزي الطباء المقيمين الأخضر ملتفحا بمعطفة الأصفر و مرتديا لخف بلاستيكي فوق جورب مثقوب عند إصبع الإبهام هذا الطبيب الذي لولا السماعة الطبية التي تلتف حول عنقة كالثعبان متمنية خنقة لما

عرف علاء إنه طبيب لكنه بمظهره العام يضيف مزيدا من الإحساس بالإهمال و التسيب الذي يضرب في المكان, و إقترب هذا الطبيب الشبه نائم من علاء سائلا إياه:

– هل أنت من قدم مع تلك الحالة ؟ تلك السيدة العجوز المصابة بالفشل الكلوي ؟

– نعم أنا ... أمي ... ماذا تقول ... ماذا أصابها ؟؟؟ , مجيبا علاء علي الدكتور و هو يمسك به من تلابيب معطفه الأصفر.

– هل جننت ؟؟ أتركني و إلا طلبت لك الأمن ؟؟ يقول الطبيب و هو يحاول التملص من قبضة علاء الممسكة بتلابيبه و هو ينظر بخوف و يأس إلي صديقنا رجل الأمن المسن الملقي بجوار الباب مطلقا لسيمفونية بديعة من الأصوات من فمه و منخاره.

– أنا أسف !! إغفر لي تهوري يا سيدي, لكن قلقي علي والدتي يقتلني .... ماذا بها ؟؟ .. أرجوك طمئنني ؟؟ , قالها علاء و هو يترك تلابيب الطبيب الشاب الذي أخذ يحاول أن ينظم من هندامه المبعثر, لاعنا في سره حظه العاثر الذي ألقاه في كلية الطب ليتخرج بها ليعمل في مثل تلك المستشفي الخربة ليلتقي بمثل تلك النوعية من المرضي الهمج من أمثال علاء.

– لا تأسف لم يحدث شيء, والدتك مريضة جدا. لا أعلم لماذا تركتوها هكذا حتي تفاقمت حالتها , بإهمالكم هذا كدتوا أن تقتلوها. هذه الأدوية يجب أن تحضرها غدا ظهرا علي أسوأ تقدير. لقد أعطيناها بعض المسكنات الأن حتي تستطيع أن تخلد إلي النوم. لكن غدا يجب أن تحضر لها تلك الأدوية قبل الظهيرة فهي أدوية ذات ثمن غالي و ليست متوفرة هنا في تلك المستشفي الخربة.

قال الطبيب هذا الكلام لعلاء و هو يعطيه وصفة الدواء مديرا له ظاهره هاتفا له بصوت عال كأنه يذكره و يؤكد عليه:

– غدا قبل الظهيرة لا تتأخر و إلا !!!!!

و هنا إرتفعت عينا علاء من وصفة الدواء التي كان يحملق بها منذ أعطاها إياه الطبيب و قد ترغرغت بالدمع لينظر إلي الطبيب و هو يغادر القاعة و هو يلعن بصوت مسموع هذه المرة حظة العاثر مرة أخري, و عادت عينا علاء لتقع علي وصفة الدواء التي في يده و قد منعته دموعه من الرؤية بوضوح و ما كان ليشكل هذا فارقا له فهو لا يفهم شيئا مما هو مكتوب بها لكن إدراكه كان كامل لحجم الكارثة تلك التي يمر بها.

جارا قدميه خلفه منكس الرأس, خرج علاء من المستشفي لا يعلم ماذا يحدث ؟ و كيف حدث هذا ؟ و ماذا سيصنع ؟ أسئلة كثيرة أخذت تلتهم

عقله طوال المسافة التي سارها منذ خرج من تلك المستشفي تاركا والدته بها و حتي وصل إلي مكان عمله ليجلس علي كرسيه غير مدرك لما حوله متلفتا يمينا و يسارا للسيارات و الناس التي تمرق حوله, حتي لم يلتفت لبعض من زبائنه الدائميين من موظفين المصارف الذين طفقوا يسألونه أين يستطيعوا أن يتركوا سياراتهم و هو لا يجيبهم و يكتفي بالحملقة في وجوههم ليتركوه و هم ساخطيين ليضعوا سياراتهم في أي مكان قد يجدوه.

كل هذا و علاء ما زال مستمر في الحملقة التائهة فيما حوله حتي أقترب منه أحدهم ليربت علي كتفه تبريته ضعيفة لكنها جعلته يتنفض كمن مسه البرق ليتلتفت بعين مرغرغة بالدمع لمن ربت عليه ليجده الحاج "عبد الحميد" هذا الرجل العجوز البسيط الذي دأب علي صنع المشروبات الساخنة في هذا المكان لعلاء و غيره من الباعة الجائليين و العاملين في شوارع تلك المنطقة.

جال الحاج "عبد الحميد" بعينيه في وجه علاء التائه و هو يحاول بفراسته التي أكستها إياه سنون حياتة المديدة التي قضاها في شوارع المحروسة لتكسبه خبرة غير محدودة في مشاكل الحياة و كيفية النجاة منها بأقل الخسائر لكن قوة الحيرة التي تجول و تصول في ملامح علاء لم تمكنه من ذلك فصوت حنون أنهكته الحياة فقال له:

– ما بك يا علاء؟ أنت اليوم علي غير عادتك .. لا تلبي نداء زبائنك و لم نسمع لك صوتا علي غير عادتك منذ أن جلست علي هذا المقعد منذ ساعتين حتي إقتربت صلاة الظهر و أنت لم تتحرك من مكانك.

و عندما نطق الحاج عبد الحميد بالكلمة السحرية "صلاة الظهر" حتي أحس علاء و كأن الدنيا تميد به و إنفجرت دموعه من مقلتيه حتي كادت تغرق الطريق. مما أصاب الحاج عبد الحميد بصدمة من رد فعل علاء العنيف هذا ليضمه إليه محاولا تهدئته و أخذا في تلاوة بعض من أيات الذكر الحكيم لعلها تهديء من روع علاء و لبس في ذلك الفعل حتي هدأ علاء و أخذ في سرد قصته علي الحاج عبد الحميد و الأخر ينصت له بإهتمام و تركه يتحدث حتي يفرغ ما في جعبته بالكامل. و عندما إنتهي علاء من سرد قصته بالكامل, ربت الحاج علي كتفه قليلا و تنهد مخرجا ما في صدره من ضيق من روع المأساة التس سمعها للتو و كيف أن للفقير المكافح في بلادنا هذا إن مرض حل واحد ألا و هو القبر, و كاد أن يطلق ما في مكنون صدره ليخبر به علاء لكنه تراجع حتي لا يصيبه باليأس أكثر مما هو مصاب به و أيضا لإيمانه بأن رحمة الله واسعة تشمل عالمنا كله و إنه كله ثقة بأن الله لن يتخلي عن عباده المخلصين و مع علمه بمفسدة علاء لكنه كان يعلم إخلاصه في حبه لأمه و يعلم أيضا إخلاص أمه في تربيته.

لذا فقد إنتقلت تلك الثقة الروحانية في رحمة الله من قلب الحاج عبد الحميد إلي يديه في تلك التربيتة الحنونة علي كتف علاء ثم إستقرت علي لسانه و هو يقول:

– لا تيأس من رحمة الله يا علاء. سيدبرها الله إعطني وصفة الدواء التي أعطاك إياها الطبيب و دعني أري ماذا يمكن أن نفعل.

و لم يعطه فرصة و أخذ الحاج بوصفة الدواء من يد علاء تاركا إياه ليعود علاء إلي حالة اللاوعي التي كان بها و قد بدأ ألم لصداع شديد يسيطر علي رأس علاء من قلة النوم و تأثير المخدرات في الليلة الفائتة بافضافة إلي فاجعته الكبري في والدته و أخذ هذا الألم يجرر برأس علاء حتي ألقاها في بئر عميق للنوم. تاركا رأسه للتهدل علي صدره في جلسته غير المريحة تلك علي ذلك الكرسي الخشبي علي قارعة الطريق.

لم يلبس علاء في وضعه كثيرا لينتفض فجأة و قد فرغ الشيطان في تلك القيلولة الجبرية التي سقط فيها علاء من إفراغ جميع أكاذيبه الحقيرة في رأس علاء من شاكلة أن الله قد نسيك "أستغفر الله العظيم" و أن حقه و حق والدته لا مفر من أن يجلبه هو بيده من هذا المجتمع الظالم الفاسد التي تركهم علي تلك الحالة المعدمة بينما غيرهم من البشر يتمتعون بالنعيم و الأموال التي لا يستحقونها و التي يجب ان تكون من نصيب

علاء علي الأقل حتي يستطيع إنقاذها من الموت بدلا من تركه إياها لتموت في تلك المستشفي الحقيرة و هو يقف كالعاجز.

قام علاء من جلسته وقد أصبحت كل تلك الأكاذيب و السموم التي بثها فيه الشيطان تجري في عروقه مجري الدم, فقام و كله تصميم علي إنتزاع ما يظن إنه حقه بيده طالما لا سبيل غير ذلك لإنقاذ والدته المسكينة. فوقف في وسط الطريق يرمق بعين حذرة حركة السيارات و مرتاديها و هو يتحسس مطواته الحادة القابعة في الجيب الخلفي لبنطاله حتي وقعت عينه علي فرسيته المنتظرة.

رمق علاء تلك السيارة الفارهة السوداء ألمانية الصنع و التي لا يقل ثمنها عن قيمة المنطقة التي يسكن بها بكل ما فيه من "عشش" و أشخاص و حتي الحيوانات, تلك السيارة التي تصرخ لوحة الأرقام الخاص بها من أن مالكها ذو جاه و سطوة جالية في أرقامها و أحرافها القليلة المتشابهة و لو كان علاء يمتلك جزء من الثقافة لفزع من تلك اللوحة التي تحمل رقم " د م – ٦٦٦" فهي تحمل اللفظة "دم" إلي جانب الرقم "٦٦٦" و المسمي رقم الوحش و العائد إلي الشيطان في كثير من القصص الخرافية المفزعة الغربية.

ظل علاء يراقب السيارة حتي إستطاعت الوقوف علي جانب الطريق ليترجل منها هذا الرجل المرتدي لبدلة سوداء تبدو باهظة الثمن و نظارة

شمسية سوداء بإطار ذهبي لامع و يحمل حقيبة جلدية سوداء و حذاء أسود لامع أيضا, و هو يتجه بسرعة إلي مدخل أحد المصارف الأجنبية الفاخرة التي تذخر بها المنطقة لكن هذا المصرف الأجنبي بالأخص يعرف علاء إنه خاص برجال الأعمال الكبار و الأشخاص ذوي الثروات المهولة.

تابع علاء الرجل حتي دلف إلي المصرف و بدأ الشيطان مرة أخري في العبث في رأسه راسما له خطة جهنمية لسرقة هذا الرجل. أولا هذا الرجل قام بوضع سيارته أمام إحدي دور الكتب القديمة الكبيرة المغلقة الموجودة في هذا الحي و التي تنتظر دورها لتحلق بشبيهاتها في التحول لمتجر أحذية أو مطعم أو حتي متجر لبيع الأدوات الصحية كالعادة, ثانيا الرجل قام بوضع السيارة بحيث جعل باب السائق ملاصقا للممشي الجانبي؟ ثالثا هذا الرجل لم يشاهده علاء من قبل و لم يساعده في إيقاف سيارته و بالتالي فهو لن يستطيع التعرف عليه. رابعا كان جليا من سرعة حركة هذا الرجل أن الحقيبة التي يحملها كانت خفيفة و بالتالي فهو لم يدخل المصرف لكي يقوم بإيداع النقود إذن فهو سيقوم بإخراج بعض النقود. خامسا السيارة زجاجها داكن لا يشي بما يحدث داخلها كما يفضل أصحاب تلك السيارات لكي لا يراهم العامة من الناس و هم داخل قصورهم المتحركة تلك فهذا فخر لا يستحقونه. هكذا كانت إستنتاجات و

ملاحظات علاء الجهنمية الشيطانية و بناءا عليها أخذ علاء بمساعدة صديقه الجديد الشيطان في رسم خطتهم.

أولا سيقوم بمساعدة بعض السيارات الراغبة في التوقف لكي تتوقف بجانب تلك السيارة و لا ضرر في ذلك فالطريق متسع و هذا السيارات ستشكل حاجزا يمنع المشاه في الطريق من مشاهده ما سيحدث ثم سيقوم هو بوضع مقعده بجاور السيارة علي الممشي الجانبي في وضع سيعيق المارة من السير علي هذا الممشي و يجعلهم مضطرين لتركه و السير عبر الطريق ذاته.

و في غضون دقائق كان علاء قد إنتهي من تنفيذ ما خطط له و جلس واضعا ظهره للسيارة المنشودة و منتظرا, لم يطل إنتظاره حتي عاد الرجل صاحب السيارة ليجد سيارته في هذا الوضع محاصرة ما بين الممشي الجانبي و السيارات الأخري ليقف متعجبا عمن فعل هذا فيه و متسائلا كيف سيخرج من هذا المأزق, ثم قرر إنه قبل أن يبحث عن وسيلة لحل هذا المأزق عليه أن يضع تلك الحقيبة التي يحملها علي المقعد الخلفي للسيارة أولا ثم يبحث عمن يساعده في الخروج من هذا المأزق.

و هنا كانت اللحظة التي ينتظرها علاء ففي اللحظة التي قرر الرجل فتح الباب الخلفي للسيارة المجاور للممشي الجانبي كان علاء ينقض عليه

حاملا لمطواته دافعا إياه إلي المقعد الخلفي للسيارة, ثم دلف علاء إلي السيارة و هو ما يزال واضعا لمطواته علي رقبة هذا الرجل. قام علاء بإغلاق باب السيارة بسرعة و إلتفت إلي الرجل لينظر إليه بعينان تقذفان بالشرر و هو يتحدث بنبرة صوت مخيفة ضاغطا علي إسنانه لتصدر صوتا مخيفا ليكمل صورة السفاح التي يريد أن تترسخ في عقل هذا الرجل, الرجل الذي لم يكن يحتاج لكل هذا لكل يشعر بالخوف و الرعب فقلبه يكاد أن يتوقف منذ الوهلة الأولي التي دفعه فيها علاء إلي داخل السيارة

– أعطني كل النقود التي معك في تلك الحقيبة و إلا قتلتك و مزقتك شر ممزق, قال علاء هذه الكلمات للرجل بتلك النبرة المرعبة

– لا نقود لدي و تلك الحقيبة فارغة و بها بعض الأوراق الخاصة بالسيد صاحب السيارة, قالها الرجل و هو يرتجف من الخوف حتي كاد أن يبلل بنطاله.

– أنت كاذب و تريد أن تنجو بنفسك أعطني كل ما معك و إلا سأقتلك, قالها علاء و هو يقوم بالضغط بالمطواه علي رقبة الرجل حتي بدأ الدم يسيل منه.

– النجدة ... النجدة أنقذوني, الرجل صارخا و هو يحاول أن يتخلص من قبضة علاء المحكمة علي رقبته و من المطواة التي بدأت في نحر عنقة.

– أصمت و إلا ذبحتك الآن.. أريد النقود كلها حالا و في التو, قالها علاء و هو يحكم السيطرة علي هذا الرجل المسكين بعدما صار تقريبا جاثما فوقه علي المقعد الخلفي للسيارة.

– ليس معي نقود أو أي شيء مهم أنا مجرد سائق مسكين ليس معي أي شيء, قالها الرجل بصوت متحشرج و في محاولة أخيرة قام بدفع علاء من فوقه و نهض محاولا الهروب من السيارة.

و في تلك اللحظة السوداء و خوفا من علاء أن يفتضح أمره إذا ما نجح الرجل في الخروج من السيارة, أغمد علاء مطواته حتي المقبض في ظهر الرجل, الذي توقف لحظيا عن محاولة فتح باب السيارة للهروب عندما أحس بنصل مطواة علاء يخترق ظهره, لكنه يائسا حاول الخروج مرة أخري ليعاجله علاء كالوحش المسعور بعدة طعنات ليسقط الرجل جثه هامدة امامه مرتكزا برأسه التي خلت من أي أشكال الحياة علي هذا الزجاج الداكن اللعين الذي لم يمكن أي أحد من المارة أن يشاهد المأساة التي تحدث له.

أخذ علاء يلتقط أنفاسه لبضع دقائق شاخص البصر محملقا في ظهر الرجل الذي إزدادت قتامة لون بدلته السوداء نتيجة للدماء التي أصبحت تكسوها, أخذ علاء يحدث نفسه أن الرجل هو المتسبب فيما حدث لماذا قاومه ؟ لماذا حاول الهروب ؟ لماذا كذب ؟ لماذا كذب ؟ و قال إنه مجرد سائق .. هل هذا مظهر سائق ؟ هل هناك سائق بكل تلك الأناقة ؟

– أنت كاذب!! صرخ علاء موجها حديثه إلي تلك الجثة الماثلة أمامه.

– أنت كاذب .. أنت من قتلت نفسك ... أنت السبب.. أنت السبب.. أخذ علاء يقول تلك الكلمات بجنون و هو يتطلع إلي تلك الدماء التي إكتشف إنها تغطي مطواته و يديه.

سكت علاء لثواني, ثم إستدار ينتشل تلك الحقيبة من بين مقاعد السيارة و هو يحدث نفسه أن ماحدث قد حدث و المهم الأن هو النقود من أجل إنقاذ والدته. وضع علاء الحقيبة علي قدميه و هو يفكر كيف سيقوم بفتح الحقيبة من المؤكد أن هذا الرجل قد أغلقها بأرقامها السرية لكل يحافظ علي النقود الهائلة المنتظرة بداخلها .. لكنه لن يعجز عن فتحها حتي لو إضطر لتحطيم الحقيبة تحطيما.

لكنه و مع أول محاولة لفتح الحقيبة بالضغط علي أزرارها فوجيء علاء بالحقيبة تفتح و هنا كانت الكارثة, الحقيبة خالية إلا من بعض أوراق.. أوراق... أخذ علاء كالمجنون يبحث في الحقيبة عن أي شيء ذو قيمة و

هو يمزق و يلقي ما بها من أوراق لكن دون أي جدوي... الحقيبة كانت خالية من النقود كخلو جيبه هو أيضا منها. أخذت الدموع تشق طريقها إلي عيني علاء و هو جالس في المقعد الخلفي لتلك السيارة و جثة الرجل بجانبة مرتكزة علي الباب و الحقيبة امامه و الأوراق التي بها مبعثرة في كل مكان بالسيارة.

إستمر علاء في البكاء قليلا ثم القي بالحقيبة و إلتفت إلي جثة الرجل عابثا في جيوب سترته و بنطاله باحثا عن أي شيء ذي قيمة و الدموع تغرق عينيه علي حياته و حياة والدته اللتان ضاعتا بلا مقابل و بينما هو يبحث وجد حافظة الشخصية الرجل ليفتحها و هنا يجد المفاجأة .... الحافظة الشخصية ليس بها سوي خمسة جنيهات و نصف فقط.

إلتقطهم علاء يديه الملطخة بلون الدماء و نحيبه يعلوا صوته و أخذ يعدل من وضع جثة الرجل ليلقيها علي المقعد الخلفي للسيارة و يتركها مسجاه هناك و يخرج من السيارة و يغلق بابها بهدوء و هو ما زال يبكي, لينحني علي مقعده الذي سقط أرضا عندما إنقض علي الرجل ليلتقطه بيده الثانية فاليد الأولي ما زالت قابضة علي الخمسة جنيهات و نصف, ليأخذ كرسيه إلي مكانه المعتاد و يجلس عليه محملقا إلي يديه المخضبة بالدماء و الخمسة جنيهات و نصف تلك الذي أصبحوا ثمنا لجريمته و ثمنا لحياته و حياة والدته كم هم رخصاء و بلا قيمة و أخذت دموعه في الإنهمار كالشلال.

و من بعيد و بعين تملئها الدموع رمق علاء الحاج عبد الحميد و هو يهرول إليه قادما في إتجاهه و وجهه يبتسم كشمس الصباح و علي وجهه اعتي علامات النصر و هو يلوح لعلاء بيده و باليد الأخري يرفع يدا بها حقيبة بلاستيكية شفافة يبدوا من خلالها بعض علب الدواء, و بينما يقترب الحاج عبد الحميد من علاء , سمع علاء بأذن صوت صرخات قادمة من إتجاه السيارة السوداء الألمانية الفخمة و بالأذن أخري سمع ضحكات صديقه الجديد و هو يتركه متخليا عنه.

نكس علاء رأسه مرة أخري بين كتفيه محدقا في يديه المخضبة بالدماء و الخمسة جنيهات و نصف التي ما زالت القابعة بين تلك الدماء.

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠٦

(٥)

البدلة البيضاء

(٥) البدلة البيضاء

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠٦

فرحاً سعيداً يكاد يطيرُ فرحاً من فرط البهجة, بإختصار كان هذا هو إحساس أدهم و هو يتعلق بيد والده الأستاذ علي ليذهبا إلي التسوق لشراء ملبس العيد لدرجة إنه من فرط حماسته كاد ان يقتلع ذراع والده من جسده لكي يأخذها معه و يحلق فعلياً في السماء فها هو اليوم الذي طال إنتظاره منذ العام الفائت.

فمن قبل أن يحل عيد الأضحي بالسنة الماضية و أدهم لم يكف عن الإلحاح و الطلب المتكرر من أبيه أن يحضر له بدلة الضابط لكي يرتديها كملبس جديد للعيد, و ما إنفك والده يقنعه بأن تلك العادة في شراء الأباء لأولادهم لملبس الضباط و هم أطفال و خاصة في الأعياد قد إنقضت و أصبحت من العهد القديم, لكن كل محاولات الإقناع تلك كانت تذهب سدي فأدهم أثناء تلك المحاولات كان يقضي وقته إما بالمزيد من الإلحاح و الطلب المتواصل مقاطعاً به حديث والده أو بالتحديق في السقف متظاهراً بالإستماع ليعود مرة أخري فور توقف أبيه عن الكلام إلي أيضا مزيد من الإلحاح و الطلب المتكرر.

إستمر أدهم علي هذا المنوال في الإلحاح حتي إقتنع والده إنه لا مفر من النزول علي رغبة وحيده في الحصول علي تلك البدلة البيضاء, التي

أصبحت أكثر مطالبه إلحاحاً حتي أكثر من تلك الشوكولاتة اللذيذة التي إعتاد أدهم أن يختطفها من يده كل يوم عندما يقوم بفتح باب المنزل له عند عودته من العمل, حتي إنه عندما لا يتذكر والده أن يحضرها أو عندما لا يجدها عند متجر الحلوي أسفل منزلهم فلا يكون الأمر ذا أهمية عند أدهم فهو يسأله الآن كلما فتح له الباب:

– بابا, حتجيبلي البدلة إمتي ؟؟؟؟ هه هه ؟؟ قولي بقي ؟؟؟

فيرد الأب بالرد المعتاد عند كل الأباء عندما يريدون التنصل من واجب ما أو إلتزام تجاه أولادهم أو الهروب من تنفيذ مطلب ليس في مقدرة الأب أن يلبيه أو لا يرغب في تلبيته, مما أفقد تلك الجملة معناها الحقيقي بل و أيضا شوه تلك الجملة و هو بالأمر الخطير, فتلك الجملة هي:

– قريب يا أدهم يا حبيبي , إن شاء الله قريب, إن شاء الله.

ليُدرك أدهم فور سماعة لتلك الكلمات التي أصبحت محبطة بالنسبةِ له أن والده لم ينتوي شرائها له بعد, فيطأطيء رأسه لثواني, و يلتف تاركاً والده متوقفاً عند الباب متجهاً إلي غرفته ثم لا يلبث أن يرفع رأسه و يلتفت ناظراً إلي والده بعينين يكاد بريق الذكاء و الإصرار بهما أن ينير الغرفة بالكامل قائلاً في إصرار يحسد عليه:

– إن شاء الله يا بابا حتجيبها.... حتجيبها.

و مع هذا الإصرار كما قلنا أنفاً, رضخ الإستاذ علي لمطلب أدهم المُلِحّ, و ها هم قد تركا الوالدة الطيبة الحنون الإستاذة سهير مع جاراتها يعدان كعك العيد و البسكويت و الغريبة و غيرها من الحلوي اللذيذة التي تتفنن الوالدة الغالية في صنعها بإحترافية يعجز عن مجاراتها عمالقة صنع الحلوي في البلاد, تركاها متخطيان بالوثب الحذر أكوام الصواني المعدنية السوداء المتراصة فوق بعضها البعض في صالة المنزل منتظرة أن يتم ملئها بما طاب و لذ من حلويات الأستاذة سهير.

و في أخر اليوم عاد الأستاذ علي و في يده أدهم و تعابير الفرح و السعادة المرتسمة علي وجهه يعجز عن رسمها أعظم الرساميين و لا يستطيع وصفها أكبر الشعراء و الزجاليين, و هو يحتضن تلك الحقيبة البلاستيكية التي تحتوي علي البدلة البيضاء المنشودة و معها الحذاء الأسود اللامع المدبب و الكاب الأبيض, رافضاً حتي أن يحملها أبيه عنه, فهذا كنزه الأول الذي حصل عليه و هو في عامه العاشر.

حتي والدته لم تفلح في إقناعه بترك البدلة لها لكي تقوم بتنظيفها و كيها له إستعداداً لكي يرتديها غداً في أول أيام عيد الفطر المبارك, لذا لم يكن أمامها سوي حل واحد هو أن تنتظر حتي يخلُد ادهم إلي الفراش لينام محتضناً تلك البدلة البيضاء كعريس يحتضن عروسه التي طال إشتياقه لها, ثم تنتزعها من أحضانه إنتزاعاً لكي تقوم بتنظيفها و كيها و تعليقها علي علاقة خشبية و تركها بجانبه علي الفراش و أسفل منها علي

الأرض وضعت الحذاء المدبب اللامع و قد قامت بتنظيفه و تلميعه ليبدوا كالمِرآة و وضعت فوقه زوج الجوارب البيضاء.

و عندما أشرقت شمس الصباح معلنة بدأ أول أيام عيد الفطر مبارك, فشلت أيضاً محاولات الوالدين في إقناع أدهم في أن يرتدي جلبابه الأبيض أولاً ليصلي صلاة العيد مع والده, إلا إنه أَبيَ إلا أن يرتدي البدلة كاملة لكي يصلي بها, و مرة أخري نزولاً علي رغبته و إصراره سمحا له والداه أن يرتديها للصلاة مع وعد أن يخلعها قبل الإفطار ثم يعود ليرتديها مرة أخري قبل نزولهم لزيارة الأهل و الأقارب.

كم كان أدهم فخوراً بنفسه و هو يرتدي تلك البدلة العزيزة علي قلبه و هو يعدل هندامه أمام المِرآة الكبيرة في غرفة والديه بعدما إنتهي من صلاة العيد و تناول طعام الإفطار و يقوم بضبط وضع الكاب فوق رأسه و تحسس النجوم القماشية المطرزة علي أكتاف البدلة كما لو إنها كانت نحاسية كالنجوم الحقيقة التي يضعها ضباط الشرطة علي أكتافهم, و بينما هو يتأمل نفسه فرحاً و سعيداً أمام المِرآة, كان والده يقف خلف والدته علي باب الغرفة محتضنا كتفاها بكلتا يديه هامساً لها و هما ينظران إلي ولدهما الوحيد فخورين بهيئته و سعيدان بسعادته البالغة:

– الولد كبر يا سهير و شكله في البدلة شبه الضباط بالضبط, مش زي العيال الصغيرة إللي بتلبسها.

– عقبال ما أشوفه ضابط بجد, يا رب أحميه و أحفظه من العين ..هكذا تجيب سهير علي زوجها بالهمس أيضاً و هي تربت بكفيها علي يدي زوجها.

ليخرجوا جميعا لزيارة الأهل و الأقارب و الذين قد إجتمعوا جميعاً علي رأيٍ واحد ألا و هو كم يبدوا أدهم رائعاً في تلك البدلة كما لو كان ضابطاً بالفعل, ليرد والديه عليهم بالإبتسام شاكرين لهم علي ذوقهم علناً, و قارئين للمعوذتين في الخفاء خوفاً من أعين الحاسدين علي ولدهم الوحيد.

ليعودوا في أخر اليوم منهكيين, لكن فرحين بولدهم الذي كان مثالاً للأدب و الإنضباط طوال زيارات اليوم كما لو كانت تلك البدلة ببياضها الناصع قد قامت بالتخلص من كل الشغب و الشقاوة اللذان كان يحظي أدهم بحظ وافر منهما, ليحل مكانهما هذا الهدوء و الإنضباط و الرصانة, كما لو كان العمر قد تقدم به عشر سنوات أخري ليصبح ضابطاً بالفعل, ضابطاً دمث الأخلاق و الطباع.

و بعد عودتهم مباشرةً قام أدهم بوضع بدلته التي ما زالت علي نظافتها و أناقتها علي علاقتها الخشبية بعناية و إهتمام و واضعاً إياها في دولاب ملابسه, في سابقتين هما الأولين من نوعهما لأدهم, الأولي ألا و هي الحفاظ علي نظافة ملابسه و رونقها طوال يومٍ كامل مليء بالزيارات و

الثانية هي وضع تلك الملابس في مكانها المناسب بدولابه بدلاً من تركها ملقاة مبعثرة في كل أرجاء المنزل كعادته.

و عند تجمعهم جميعاً حول مائدة الطعام في المساء لتناول وجبة العشاء, قام أدهم برسم لوحة جميلة من الأخلاق و الأدب قبل و أثناء و بعد تناول الطعام ممثلةً في مساعدته لوالدته في إعداد المائدة قبل العشاء و تناول العشاء بعد ذلك في صمت و أدب و بدون إبداء أي ملاحظات علي الطعام أو الإعتراض علي أيٍ من أصنافه ثم بعد ذلك مساعدة والدته في حمل باقي الطعام و الاطباق الفارغة إلي المطبخ.

لكن هذا كله كان مقدمة لمطلبه الذي صرح به قبل أن يخلد إلي النوم و ذلك بعدما غسل أسنانه و توضأ و صلي العشاء ثم ذهب إلي والديه في غرفة المعيشة ليطلب منهم السماح له بأن يرتدي غداً بدلته الجديدة عندما يقومون بالخروج للتنزة بإحدي الحدائق العامة و تناول الغذاء في الهواء الطلق, و عندما حدثاه والديه بإنهما لا يعتقدان في صحة هذا الطلب متعللين بخوفهم من أن تتسخ بدلته العزيزة أثناء لعبه و لهوه بالحديقة و أن يصبح تنظيفها بعد ذلك مستحيلاً, فأخبرهما إنه سيحافظ عليها و إنه لن يمارس أي لعب أو لهو من شأنه أن يتلفها أو يعرضها للإتساخ, فأخبره والداه أن هذا سيمنعه من الإستمتاع بالنزهة, فرد عليهما مغلقاً الباب علي أي نقاش أو جدال قد يحاوله والديه معه لإقناعة بالعدول عن

رأيه بأن سعادته الحقيقية ستتبع من إرتدائه لبدلته الجديدة تلك و هو يعلم مدي حرصهم علي سعادته خاصةً في أيام العيد تلك.

فينظر والديه إلي بعضهما البعض مبتسمين من أسلوب ولدهم الذكي في إنتزاع موافقتهم علي مطلبه و إلا بديا كما لو كانا غير حريصين علي إسعاده و هذا لن يكون بأي حال من الأحوال فهو ولدهم الوحيد, ليوافقا علي مطلبه مع الحصول منه علي وعد بتنفيذ إتفاقه بالحفاظ علي بدلته الجديدة كما قال, فينتهي هذا النقاش العائلي الهاديء بأدهم و هو يقفز مصفقاً فرحاً أمام والديه ثم يقوم بمعانقة كل منهم و واضعاً لقبلة حنون علي جبين كل منهم أيضاً ثم يتركهم و هو يتقافز من الفرحة ليذهب إلي غرفته حالماً بيومه غداً في المنتزة و هو يمر بين أقرانه من الأطفال فخوراً و متباهياً ببدلته الجديدة.

و عندما أشرقت نهار ثاني أيام العيد, إستيقظت الأسرة كلها مبكراً و بعدما تناولوا طعام الإفطار, إرتدوا ملابسهم و إرتدي أدهم بدلته محبوبته و أخذ يعدل من هندامه و كانت تبدوا جميلة و محكمة عليه كما لو كانت لم تُرتدي من قبل و من قِبل طفل في العاشرة من عمره لمدة يوم كامل.

تحركوا جميعاً و توجهوا إلي إحدي الحدائق العامة الشهيرة بالقاهرة و التي يقصدها أمثالهم من محدودي الدخل أو كما يحب أن يطلق عليهم و

علي نفسه الأستاذ علي إنهم " أخر أشباح الطبقة المتوسطة في البلاد" فبالرغم من عمله هو كمدرس أول للرياضيات في إحدي المدارس الثانوية الحكومية بوسط القاهرة و عمل زوجته كمحامية تعمل في مكتب مشترك بينها و بين أحد زملاء مهنتها بإحدي المناطق الشعبية, إلا إنهم يعيشون علي الكفاف.

فالأستاذ علي من هذا الطراز القديم من المُعلِمين الذين إنقرضوا أو للدقة قد صاروا علي وشك الإنقراض و الدليل علي ذلك وجود الأستاذ علي فهو من المُعلِمين الذين يؤمنون برسالة التعليم السامية بشدة لذلك تجده دائماً يبذل قصاري جهده مع طلابه في المدرسة لإيصال مبتغاه من العلم و الفهم إليهم, لذلك قلما تجد طالباً ما عنده في المدرسة, يسأله أن يعطيه درساً خاصاً و ذلك غن حدث يكون لسببين أولهما ضعف إمكانات الطالب ذاته و ثانيهما هو العادة التي جرت في معظم الأسر المصرية الآن في إعطاء أبنائهم دروساً خاصة في كل المواد التي يدرسونها و بالأخص في الثانوية العامة لكن في كلتا الحالتين تكون إجابة هذا السؤال إجابة واحدة تبدأ بنهر الأستاذ علي لهذا الطالب و توبيخه موضحاً له إنه ليس من ذلك النوع من الأساتذة الذين يجعلون من علمهم سلعة تباع و تشتري و تنتهي به مساعداً لذلك الطالب في فهم كل ما يتعسر عليه فهمه في أوقات فراغه داخل المدرسة.

و كما يقول المثل الشعبي "أن الطيور علي أشكالها تقع" فوضع الأستاذة سهير لا يختلف كثيراً عن وضع الأستاذ علي زوجها, فهي منذ أن تخرجت من كلية الحقوق و التي كانت قد إلتحقت بها عن قناعة و رغبة حقيقة في الدفاع عن حقوق المظلومين و ليس كما يلتحق بها الكثير بسبب إنها فقط تتوافق مع حصلوا عليه من تقييم في المرحلة الثانوية, لذلك تجدها و قد أصبحت ذات رسالة مثل زوجها تؤمن بضرورة الدفاع عن كل المظلومين ممن سلبت حقوقهم أو ممن تم إتهامهم ظلماً بجُرمٍ لم يرتكبوه غير عابئة إن كانوا يستطيعون الوفاء بأجرها أم لا و في نفس الوقت تقوم برفض إن لم يكن في كثير من الأحيان طرد من تسول له نفسه من المجرميين من تجار المخدرات و المرتشين و القتلة أصحاب الثروات الضخمة التي جمعوها من دماء الفقراء أن يتجرأ و يطلب منها الدفاع عنه هو نفسه أو عن أحد أتباعه الذين يضحون بهم من حينٍ لآخر مقابل أجر خيالي لا تحلم به لتقوم بإلقائه إلي الشارع متعاونةً مع زميلها في المكتب و الذي لا يختلف عنها في المبدأ كثيراً, متوعدة إياه إن جاء إليها مرة أخري أن تقوم هي بالمرافعة في المحكمة ضده لكي تلقيه بنفسها وراء القضبان, و في نهاية الأمر تجد مكتبها لا يكاد يدر دخلاً يذكر لكنه يترك لها الصيت الطيب بين مُوكليها و الباحثين عن حقوقهم و عن من يرفع الظلم عنهم بدون أن ينتظر منهم مقابل.

في هذه الأسرة لكن أن تتخيل كيف يتربي و ينشأ طفل مثل أدهم, ليصبح راغباً في أن يكون ذو رسالة كوالديه, راغباً في أن يكبر ليصير ضابطاً يرجع الحقوق إلي أصحابها و يرفع الظلم عن المظلوم و يطيح بالظالم من علي عرشه ليهوي به في أعماق السجون متلقياً لجزائه الرادع, ليكون ذراع الله لتطبيق العدالة علي الأرض, لذا تجد هذا واضحاً في إلحاحه علي شراء تلك البدلة ليس ليتظاهر و يتشكل بشكل من يريد أن يكون مثلهم بل لإحساسه الداخلي بأنه بمجرد إرتدائه لتلك البدلة سيكون قد خطي أول خطوة في مشوار الألف ميل لتحقيق حلمه, كبير و عميق هذا الحلم و نبيل هذا المبتغي و المسعي المغروس في قلب و عقل هذا الصغير, لكن لتربية والديه و النشأة الحسنة التي يحظي بها عظيم الأثر في غرس تلك الأمور في قلبه و عقله الصغيران لينموا معه متغذيان علي مزيد من القيم و الأخلاق و المباديء التي يسقيانها له والديه لتُنبِت في النهاية شجرةً وارفة الأغصان جذورها تلك القيم و المباديء و أغصانها الثمر الذي سيجنيه هذا الطفل عندما يصل إلي مبتغاه و يحقق إمنيته في أن يكون من يريد.

كان هذا جلياً في هذا النهار لليوم الثاني من عيد الفطر المبارك و الأسرة جميعها مفترشة الأرض في تلك الحديقة العامة جالسين فوق إحدي أغطية الفراش القديمة لديهم و التي يستخدمونها في مثل تلك الرحلات الخلوية و قد حرص أدهم كل الحرص علي أن يجلس معتدلاً فوق هذا

الغطاء و في منطقة جافة لا يكون العشب بها مبللاً حتي لا يتسلل البلل إلي بدلته الأثيرة عبر ذلك الغطاء الرقيق و قد مكثوا جميعهم يستمتعون بأشعة الشمس الدافئة و أمامهم حقيبة بسيطة بها بعض الشطائر التي أعدتها الوالدة كنوع من الغذاء و معها بعض السلطات و المشهيات إلي جانب زجاجة مثلجة من عصير المانجو المصنوع في المنزل.

كان جلوس أدهم فقط بجوار والديه بدون التحرك للعب مع أقرانه من الأطفال يؤلمهم و يعلمون إنه قد عَزَفَ عن هذا اللعب حفاظاً علي نظافة و سلامة بدلته كما وعدهم, و هو منذ نعومة أظافره و هو يعلم قيمة أن يحافظ الرجل علي كلمته و وعوده و أن هذا ما يفصل ما بين الأطفال و الرجال و هو من يري نفسه و يراه والداه دائماً رجلاً صغيراً.

لذلك لم تفلح محاولاتهم في أن يجعلوه يتنازل عن وعده حتي مع تعهد والدت له أن تقوم بتنظيفها و إصلاحها له في حالة ما إذا أصابها أي وسخ أو تلف نتيجة للهوه مع الأطفال, فكان يرد أدهم عليها قائلاً بكل كياسة و حزم:

– لعب إيه يا أمي, عمرِك شفتي ضابط بيلعب و هو لابس اللبس الميري. ده حتي يبقي عيب.

فيتبسم والداه من رده, و يتركاه علي رغبته جالساً معهم, ليقوموا بعد ذلك باللعب ببعض الألعاب الجماعية كاللعب بالأوراق و غيرها, ثم قاموا

بإلتهام طعام الغذاء مع رفض أدهم التام من أن يقوم بشرب عصير المانجو المثلج اللذيذ الذي تصنعه والدته خوفاً علي بدلته من التلف إن سقط عليها شيئاً منه, ثم لم تمضي دقائق معدودة بعد ذلك ليقوم أدهم مستأذناً والداه في أن يحظي ببعض التمشية حولهم بدون لعب و بكل حرص كما وعدهم من قبل ليأذنوا له بذلك.

و بينما كان أدهم يحظي ببعض المشي تحت أشعة الشمس الدافئة, إذ به يسمع من بعيد صوت صريخ و إستغاثة من أحد السيدات بأن هناك لص قد سرق حقيبتها و هاهو يركض بسرعة تجاهه و خلفه أخذ يركض العديد من الرجال منهم والده نفسه, فأخذ أدهم في تقييم الأمور بسرعة هو طبعاً لن يستطيع أن يوقف اللص فهو ما زال طفلاً, كما إن هناك فرق في السرعة واضح و كبير بين ذلك اللص المتجه نحوه و بين مطارديه, لذا كان قراره سريعاً بأن يتنحي أدهم عن طريق اللص ثم يقوم بفرد إحدي ساقيه في طريق اللص فجأة ليعرقله تاركاً الفرصة لمطارديه في اللحاق به و الإمساك به و هذا ما كان, و فيما بين ذهول اللص من هذا الطفل الذي أوقعه و تركه فريسة سهلة لمطارديه ليمسكوا به و يسلموه إلي إحدي دوريات الشرطة الجوالة بالحديقة و بين إلتفاف الناس بما فيهم السيدة التي ساعدها أدهم في إسترداد حقيبتها و والديه حوله يهنئونه علي سرعة بديهته و تصرفه الذكي و الشجاع الذي أوقع باللص, كان أدهم يقف منتفخ الأوداج فخور بنفسه و يري مدي إعجاب

الناس به و بشجاعته و بالأخص والديه ليعرف إنه قد قام بخطوة أخري في سبيل تحقيق أمنيته من أن يكون رجل العدالة و القانون.

و تمر الأعوام و يصر أدهم من وقت لأخر علي أن يقوم والده بإحضار بدلة بيضاء جديدة له كلما كبر و أصبحت البدلة القديمة عمراً و ليس حالاً لا تصلح لأن يرتديها حتي مع كبره و إدراكه إنه لا يصح أن يرتدي تلك البدلة و يخرج بها إلي الناس كالأطفال, إلا إنه كان يصر علي إرتدائها مرة كل أسبوع ليقف أمام المرآة متاملاً لنفسه داخلها و عازماً أكثر فأكثر علي تحقيق هدفه الأول و الأخير و الوحيد من الإلتحاق بكلية الشرطة و التخرج منها ضابطاً يطبق القانون و يحقق العدالة.

و لذلك حرص أدهم خلال كل تلك الأعوام التالية منذ حادثة الحديقة أن يعد نفسه إعداداً حقيقياً لتحقيق هذا الحلم, بداية مع إصراره علي التفوق و النبوغ في دراسته و لا سيما في المرحلة الثانوية, مع إندهاش مدرسيه من هذا الإصرار علي التفوق مع علمهم برغبته المستميتة في الإلتحاق بكلية الشرطة معللين له إندهاشهم بأن الإلتحاق بكلية الشرطة لا يستدعي هذا التفوق كله فتلك الكلية في بلادنا لا تتطلب مهارات علمية و لا تفوق دراسي حتي إنها تكتفي أن يلتحق بها من يتجاوز إمتحان الثانوية العامة فقط بدون أي تفوق, مجرد النجاح فقط يكفي لكن مضافاً إليه الوساطة و العلاقات بعُلية القوم التي تتيح لصاحبها الإلتحاق بتلك الكلية.

فيجيبهم أدهم مندهشاً من إندهاشهم, كيف لهم أن يقولوا ذلك ؟ و كيف يكون هذا تفكيرهم؟, قائلاً إنه من وجهة نظره الخاصة بأن تلك الكلية و الوظيفة تستدعي أن يكون شاغروها من ذوي العقليات المتفتحة و الثقافة الواسعة و التفوق و النبوغ حتي يتيح لهم كل هذا القيام بواجبهم من تحقيقات و بحث حتي يتسني لهم إيجاد الحقيقة مهما كانت صعوبة الوصول إليها, فكانت الإبتسامة الساخرة هي رد مدرسيه في معظم الأوقات مندهشين من هذا الفتي الغر الساذج الذي لا يعلم كيف تدار الأمور في بلادنا هذا و كيف يستطيع ضباط الشرطة هنا في بلادنا إنتزاع الحقائق أو الكذبات ممن يريدونه و كيفما يريدونها بدون أدني إستخدام لتلك القدرات التي ذكرها من قبل و بدون أدني مقدار من الجهد أو البحث.

لكن هذا كله لم يثني أدهم عن إستكمال طريقه لكي يحقق هدفه فهاهو بجانب تفوقه في الدراسة حرص أشد الحرص علي التفوق في الرياضة فهو يمارس رياضتي السباحة و الملاكمة في أحد المراكز الرياضية المجاورة لمسكنه ليظهر تفوقاً شديداً في كلتا الرياضتين بحصوله علي العديد من الميداليات فيهما علي مستوي المحافظة و الجمهورية أحياناً, ليجلب الكثير من الفخر و السرور إلي والديه, و يبث في ذاته المزيد من الثقة في النفس و الأمل من الإقتراب من تحقيق الهدف الذي يرجوه.

لم يسوء تلك الصورة الجميلة التي كان يعيشها أدهم في خياله حالماً بالوصول إليها سوي بعض الشوائب من وقت لآخر عندما يقوم أحد أقرانه و أصدقائه المقربيين في المدرسة أو في النادي بإعطائه لمقطع مصور أو خبر من إحدي جرائد المعارضة أو من إحدي صفحات الإنترنت لفضيحة جديدة داخل جهاز الشرطة, سواء كانت فضيحة فساد أو رشوة في كثير من الأحيان, أو فضيحة تعذيب و قسوة أو حتي قتل داخل أقسام الشرطة و مديريات الأمن أحياناً أخري و إنتهاءاً بجرائم إستغلال السلطة و المنصب.

تلك الأخبار و المقاطع المصورة لتلك الفضائح كانت تشبه قطرات من الحبر الأسود تُلقي داخل روح أدهم البيضاء الناصعة التي تشبه البدلة التي طالما حلُم بإرتدائها لذا كانت تترك تأثيراً كبيراً سلبياً في نفسه, لكنه كان يحاول نفضها خارجه مقنعاً لنفسه أو لغيره من الأصدقاء بأن تلك الحوادث تعتبر حوادث فردية و لا يمكن أن نجعل منها قاعدة عامة و لابد من أن مرتكبوها مرضي نفسيون و أصحاب نفوس ضعيفة لذلك وقعوا في تلك الهفوات و الأخطاء و إرتكبوا تلك الجرائم لكن الجهاز بأكمله لا يمكن ان يكون كذلك.

كانت هي تلك طريقة أدهم في محاولة إقناع نفسه و من حوله أن حلمه لا يشوبه شائبة و أن كل ما يحدث و كل ما يتم تداوله عبر صفحات مواقع التواصل الإجتماعي و شاشات القنوات الأجنبية و الجرائد

الصفراء الغرض منه هو إسقاط هذا الصرح العظيم للدولة ممثلاً في هذا الجهاز القائم علي حمايتها و حماية نظامها لصالح أنظمة معادية تتربص بالبلاد, غير مدركاً بأنه بتعليله هذا قد هدم مبدأً أساسياً في حلمه ألا و هو أن الهدف من وجود جهاز كجهاز الشرطة هو تنفيذ القانون و تحقيق العدالة و حماية المواطنين أنفسهم و ليس حماية النظام الحاكم لتلك البلاد سواءاً كان يعمل لصالحها أو لصالحه الخاص.

لكن أدهم لصغر سنه وتعلقه بحلمه القديم لم يري معول الهدم الذي يعمل في هدم الهدف الأساسي لحلمه, كل ذلك حتي رأي أدهم علي صفحات مواقع التواصل الإجتماعي ما حدث لذلك الفتي السكندري المدعي "خالد سعيد" و كيف تم قتله و سحله أمام الناس كل هذا لأنه حاول فضح أحد ضباط الشرطة بعرض مقطع مصور له و هو يقوم بتوزيع كميات من المخدرات التي تم ضبطها بواسطته هو شخصياً علي نفسه و علي معاونيه لكي يقوموا ببيعها لحسابهم الخاص, و ما تلي حادثة القتل تلك من محاولات الشرطة المدعومة من الإعلام بكل وسائلة المرئية و المقروءة لتشويه صورة ذلك الشاب بإتهامه بالتهرب من الجُندية و تعاطي المخدرات بل و وصل الأمر إلي حد إتهام أخيه بأنه يهودي و متزوج من يهودية, تلك المحاولات من التشويه و الدعارة الإعلامية التي قابلها الشارع المصري بمزيد من السخط و الغضب, هذا الأمر كان شديد التأثير علي أدهم في ذلك الوقت و بدأ في إحداث شرخ داخلي في

حلمه الوحيد العريض يهدده بالتصدع عند أقرب زلزال قادم و كم كان هذا الزلزال قريب جداً من أدهم و هو لا يدري.

فكما قلنا من قبل أن والدي أدهم بالرغم من إنهم كانا لا يتورعان عن تلبية معظم إحتياجات إبنهم الوحيد أدهم, إلا إنهم لم يستطيعوا أن يرتقوا بمستواهم المادي كثيراً خاصةً مع حفاظهم علي مبادئهم و قيمهم النبيلة, لذلك لم يستطيعوا في يوم من الأيام أن يدخروا مبلغاً من المال يكفيهم لشراء سيارة مما أضطرهم دائماً لركوب المواصلات العامة للذهاب و الإياب من و إلي أعمالهم و لقضاء حوائجهم الخاصة, و في يوم أسود من الأيام السوداء التي تشهدها بلادنا دائماً, كان الأستاذ علي في إحدي سيارات الأجرة تلك المكدسة بالركاب عائداً من عمله متجهاً إلي المنزل كعادته كل يوم و في الطريق تم إستيقاف السيارة عن طريق أحد أمناء الشرطة في كمين مروري و عندما ترجل السائق من السيارة و أعطي لأمين الشرطة رخصتي القيادة و السيارة سائلاً إياه عما إقترفه لكي تم إيقافه و تعطيله عن جلب رزقه, لكزه أمين الشرطة في صدره ساباً إياه بأقذر النعوت طالباً منه الصمت التام حتي يراجع أوراقه سعادة الضابط المسئول عن الكمين, ليتجه بعد ذلك إلي إحدي المظلات الشمسية الكبيرة القابعة إلي جانب الطريق محاطة بسيارتين للشرطة و تحت تلك المظلة يجلس أحد ضباط الشرطة برتبة رائد علي مقعد بلاستيكي و أمامه منضدة بلاستيكية توجد عليها لفافة بها بعض الشطائر من محل شهير و

علبة معدنية للمياة الغازية و هو يتناول غدائه بهدوء مرتدياً لنظارة سوداء تخفي معظم ملامح وجهه و تضيف الكثير من الرهبة و الغموض عليه و واضعاً ساق فوق ساق في تعالي واضح .

يصل أمين الشرطة إلي حيث يقبع هذا الضابط في إستراحته الخاصة ليناوله الأوراق الخاصة بهذا السائق المسكين فيلقيها الضابط علي المنضدة أمامه بدون ان يلتف لأي منهما و بدون ان ينبس ببنت شفة ليقوم الأمين بوكز السائق مرةُ أخري ليبعده عن نطاق رؤية الضابط أمراً إياه أن ينتظر حتي يفرغ "الباشا" علي حد تعبيره من تناول وجبته, ليجيب السائق أن هذا حرام و لا يرضي الله, ليجد أمين الشرطة و قد هوي بكف يده بصفعة مدوية علي مؤخرة رأس السائق و هو يهتف صارخاً متسائلاً كيف يتجرأ و يتفوه بما قال و إنه بذلك قد جلب لنفسه كارثة سيري عواقبها حالاً حالما يفرغ " الباشا" من تناول وجبته.

و من مقعده الضيق في تلك السيارة المتوقفة علي جانب الطريق بدون سائق و هو يرقب كل ما حدث, ضايق الأستاذ علي ما رآه فتململ قليلاً في مجلسه, ثم قرر الترجل من السيارة متجهاً إلي هذا الضابط الذي يشاهد كل ما يحدث بلا مبالاة و بكل برود و هو يتناول قضمة من الشطيرة التي بيده و يتبعها برشفة من المياه الغازية لعله يقدر علي إقناعه بأن يترك السائق ليعود إلي سيارته لكي يستطيعوا جميعاً العودة إلي منازلهم.

و بخطي ثابتة توجه الأستاذ علي و في يده حقيبته الجلدية إلي الضابط و قبل أن يصل إليه بخطوات إعترض طريقه أمين الشرطة سالف الذكر سائلاً إياه بطريق فظة و وقحة:

– إنت فاكر نفسك رايح فين يا أستاذ ؟

– ممكن أتكلم مع سيادة الرائد ؟.. يرد الأستاذ علي بتوتر و هو يقوم بتحريك نظارته الطبية فوق أنفه.

– لا مش ممكن الباشا بيتغدي و مش عايز حد يعكر مزاجه ... يتحدث أمين الشرطة و هو يتقدم خطوة للأمام مجبراً الأستاذ علي علي التقهقر للخلف بمقدار خطوة هو الآخر.

– يعني مش حرام كده, هو يتغدي و يسيبنا كده ما إحنا بني أدميين برضه و عايزين نروح بيوتنا و نتغدي زيه, يرد الأستاذ علي و قد بدأ الغضب يحل محل توتره و ظهر ذلك جلياً في طريقة تفوهه بتلك الكلمات السابقة.

– مش عاجبك إنزل شوفلك حاجة تانية تركبها, يا إما تسكت و تنقطنا بسكاتك ... هكذا تفوه أمين الشرطة الوقح و في عينيه نظرة تحدي شديدة لهذا الرجل الوقور المحترم الواقف أمامه.

– طب و السواق ذنبه إيه ؟ عمل إيه علشان تضربوا كده ؟, قالها الأستاذ علي و هو يشير يده تجاه السائق المنكسر الذي يطأطيء برأسه أرضاً بعدما تمت إهانته علناً أمام كل من في الطريق دون أن يستطيع أن يرد أو حتي أن ينطق.

– و إنت مال أمك ؟؟ حد عملك المحامي بتاعه ؟؟ غور من هنا بدل ما أحبسك .... قالها أمين الشرطة و هو يدفع الأستاذ علي بكلتا يديه في صدرة بقوة, ليهوي الأستاذ علي أرضاً و تسقط نظارته من علي وجهه و تطير حقيبته لتستقر بجوار إحدي عجلات سيارتي الشرطة التي تشكلان جوانب إستراحة الطريق للضابط.

ليتحسس الأستاذ علي الأرض حوله باحثاً عن نظارته الطبية التي ما عاد يبصر بدونها تقريباً بعدما أفني سنوات حياته في تعليم الشباب الصغير ليصبحوا رجالاً كالضابط الذي ما زال في جلسته لم يتحرك و لم يأبه بما يحدث حوله من بطش لهؤلاء المواطنين المفترض به حمايتهم, ليجد الأستاذ علي نظارته بعدما قضي عدة ثواني في منظر مؤسف و هو يجثو علي ركبتيه في الطريق يبحث عنها بدون أن يمد له أي ممن يشاهد الموقف يد العون لينتفض قائماً بعدما عادت له رؤيته الواضحة من جديد بعودة نظارته أمام عينيه ليضع وجهه في وجه أمين الشرطة و يصرخ قائلاً بصوت هادر:

– إنت إزاي تتجرأ و تشتمني بأمي ؟ و كمان تزقني, أنا راجل مدرس محترم يا .... وقبل أن يتم الأستاذ علي جملته توقف عن إكمالها عندما سمع ذلك الصفير العجيب الذي دوي في أذنه بعدما هوي أمين الشرطة ذلك بتلك الصفعة القوية علي وجهه لكي يحطم في تلك المَرَّة نظارته لتهوي أرضاً و تتهشم عدساتها و يلتف الأستاذ علي برأسه و نصفه العلوي نصف دورة كاملة و ينثني بشدة من جراء تلك الصفعة القوية و يعود ذاهلاً لوضعه الأول مواجهاً لهذا الوغد و الجانب الأيسر من وجهه بما فيه أذنه اليسري ينبض بقوة من شدة الألم و قد إكتسي باللون الوردي الداكن و يقوم ببث حرارة يكاد أن ينصهر من جراء شدتها.

ليقف الأستاذ علي لدقيقة مذهولاً مصدوماً مما حدث و بدون أن يري أي مما أمامه لتحطم نظارته و لأن عينيه قد إمتلئتا بنهرين من الدموع, نهر منبثق من آلآم وجهه الشديدة و النهر الآخر ينبثق من جرح كرامته التي أُهدِرت أمام الناس جميعاً لتغرق تلك الأنهار وجهه و رقبته مختلطة بخط الدماء التي بدأت تسيل من جانب فمه بسبب ذلك القطع التي تسببت فيه تلك الصفعة في شفتيه.

يلبث الأستاذ علي لدقيقة ساكناً كما قلنا من قبل و أمامه أمين الشرطة الوغد يبتسم في غرور و زهو كما لو كان ما فعله شيئاً يستحق الفخر و الزهو, ففرحة إنتصاره بقهر هذا الرجل المحترم الواقف أمامه و الذي لابد من إنه ذو مكانة في المجتمع أكثر منه جعلت تلك الإبتسامة تتسع

أكثر فأكثر دونما أن يراها الأستاذ علي, لكي تنتهي تلك الإبتسامة بصوت صفعة أخري مدوية هوي بها الأستاذ علي علي وجه أمين الشرطة هذا لتمحو تلك الإبتسامة من علي وجهه ليتقافز الشرر و الدخان في كل خلجة من خلجات وجه أمين الشرطة هذا, و تتقبض قبضته علي سلاحه الناري الذي يرقد في جانبه و تتحرك أصابعه لتخرج هذا الوحش الحديدي القاتل من مقبعه و في تلك اللحظة كان الضابط الجالس قد تحرك تجاه ما يحدث ليقبض علي يد أمين الشرطة قبل أن يستل سلاحه و يميل عليه هامساً في أذنه بشيء لكي ترتخي أصابعه بعد ذلك.

بعدها قام الضابط بالإشارة للجنود المصاحبين له ليتحركوا مشيراً إلي الأستاذ علي ليقوموا بجذبه في عنف شديد و هم يكيلون له الضربات و الركلات واحدة تلو الأخري و هو لا يقوي علي مقاتلتهم و لا حتي عن الدفاع عن نفسه ليلقوا به إلي الصندوق الخلفي لإحدي سياراتهم الراقدة في ذلك الكمين ليعطي الضابط الأوامر لسائق السيارة الأجرة المسكين بأن يلتقط رخصتيه من علي المنضدة و أن يذهب من هنا فوراً و هو يتوعده بمصير أسود لو لاقاه مرة أخري لينطلق السائق ليتلتقط رخصتيه و هو يلمح بطرف عينيه الضابط و هو يتناول إحدي هراوات الجنود و يصعد إلي صندوق السيارة ليقف أمامها ثلاث من الجنود مكونين لما يشبه الستارة البشرية التي تحجب عن أعين الناس ما يحدث داخل هذا الصنوق الأزرق اللعين, ليقفز السائق داخل سيارته و ينطلق بها لا يلوي

علي شيء و كان أخر ما سمعه هو و من معه من ركاب في تلك السيارة صريخ الأستاذ علي و هو يشق السماء و يشق صدورهم في ذات الوقت لتنطلق الدموع من أعينهم كالأمطار و الصوت يبتعد شيئاً فشيئاً مع إبتعاد السيارة عن ذلك الكمين اللعين.

و فيما بعد الظهيرة, كاد القلق أن يلتهم كلاً من أدهم و والدته علي تأخير والده عن العودة من العمل علي غير المعتاد منه , فأجروا الكثير من المكالمات الهاتفية لأصدقاء الأستاذ علي في العمل للسؤال عنه فأجابوا جميعاً إنه قد غادر العمل في الوقت المعتاد و إنه قد تحرك متجهاً إلي المنزل و لم تكن لديه أي إرتباطات أخري مع أي من أصدقائه أو زملائه بعد العمل.

و مكالمات أخري أجرتها الأستاذة سهير بحكم عملها لمعظم المشافي و أقسام الشرطة التي تقع في المنطقة ما بين المدرسة التي يعمل بها زوجها و سكنه, بدون أن تجد لدي أي منهم إجابة شافية توءد النيران التي تستعر في صدورهم و تمتد ألسنتها لتعصف بعقولهم حتي جائتهم تلك المكالمة الهاتفية القبيحة في آخر المساء, لتخبرهم بالفاجعة و بأن زوجها يرقد علي فراش في إحدي المستشفيات الحكومية بعدما حاول الإنتحار بقذف نفسه من فوق سقف أحد أقسام الشرطة عقب إلقاء القبض عليه لتعديه علي أحد رجال الشرطة و هو يؤدي عمله.

جائت تلك المكالمة لتقلب عائلة الأستاذ علي رأساً علي عقب, زوجها !! ذلك الرجل الخلوق المهذب يعتدي علي أحد رجال الشرطة ثم يحاول الإنتحار بقذف نفسه من فوق سقف أحد الأقسام؟؟؟؟ من يصدق هذا ؟؟ أي عقلٍ يعقله ؟؟. لم تجد تلك الأسئلة أي إجابات لدي الأستاذة سهير و ولدها أدهم و هم يهرولان ليلقيا أنفسهما في إحدي سيارات الأجرة الخاصة طالبين منه ان يوصلهم إلي تلك المستشفي التي أخبرهم بها من حدثهم في الهاتف ليظلا طوال الطريق إليها متعانقي الأيدي يذرفان من الدموع ما يمكن أن يمليء محيطات بأكملها.

و في المستشفي عانيا الأمرين لكي يستطيعا أن يطمأنا علي الأستاذ علي فتارة بالرجاء و تارة بالتهديد و الوعيد, و لم يتم السماح لهم بزيارته إلا بعدما إنتهت النيابة ممثلةً في وكيل النائب العام و معه أحد الكتبة من مقابلة الأستاذ علي و الإستماع إلي أقواله ليخرجوا جميعاً من الغرفة المحتجز بها من المستشفي و التي يقف علي بابها أحد جنود الشرطة المسلحين كما لو كانوا يحتجزون بها أحد أباطرة و عمالقة عالم الجريمة و ليس هذا ارجل المثقف المسالم ليدلفا إلي الغرفة ليجدا رب الأسرة في أسوأ حالة من الممكن ان يجدوه فيها و قد تغطي جسده و أطرافه بالكامل بالعديد من الضمادات و الجبائر الدالة علي مدي سوء حالته لكن الغريب في الأمر هذا الرجل الذي وجدوه منحنياً علي فراش والدهم يهمس له بكلمات لم يسمعا منها شيئاً و التي توقفت بمجرد أن دلفا إلي الحجرة

ليستدير هذا الرجل ناظراً لهم نظرة جعلت القشعريرة تسري في أوصالهم سائلاً إياهم بصوت جهوري مرتفع لا يصح أن يصدر منه في مثل هذا المكان المفترض به الهدوء من أجل المرضي:

– إنتم مين ؟ و مين سمح لكم بالدخول هنا ؟؟ إنطقوا ؟؟

لترد الأستاذة سهير محاولة التظاهر بالتماسك قائلة:

– أنا الأستاذة سهير المحامية حاضرة عن الأستاذ علي و في نفس الوقت زوجته و ده إبنه أدهم, و إحنا إستئذنا من السيد وكيل النائب العام علشان نطمئن علي زوجي و نعرف إيه إللي حصل...

ثم أعقبت مقدمتها الإفتتاحية تلك بسؤالها التالي:

– ممكن أعرف حضرتك مين ؟ و بتعمل إيه بعد النيابة ما مشت ؟

– أنا الرائد/ ..... إللي كنت في الكمين إللي البيه جوزك البلطجي إتعدي فيه بالضرب علي و علي أمين شرطة كان معايا و علي القوة كلها, يرد الرجل الغريب و قد إعتدل في وقفته و أخذ يتحدث بكل قوة و تحدي.

– بلطجي و ضرب القوة كلها ... أنا أول مرة أعرف إن جوزي رجل خارق علشان يضربكم كلكم و بعدين يحاول ينتحر من فوق القسم ...

غريبة أوي الحكاية دي مش كده ؟؟؟ .... ترد الأستاذة سهير و قد إستعادت صوابها و تخلت عن خوفها من هذا الضابط لتتحدث بإحترافية و ثقة إكتسبتها من طول صراعها مع الظلم و مع أمثال هذا الضابط.

– و الله خارق مش خارق,أنا معرفش المفروض حضرتك إللي تعرفي مش إنت مراته, يرد الضابط في وقاحة و هو يبتسم في سخرية و هو يدرك مغزي هذه الكلمات الفجة التي ألقي بها إلي تلك السيدة و ولدها الواقف إلي جانبها و علامات الغضب بادية في وجهه بجانب دموعه التي لم تجف في عينيه حتي الآن.

ليفهم أدهم علي الفور هذا التلميح الجنسي الحقير من هذا الضابط الوقح ليضم قبضته و يندفع تجاه هذا الضابط, لتمسك به والدته في اللحظة الأخيرة و تمنعه من التهور لينظر إليهم الضابط ساخراً ليقول لها:

– واضح إن إبنك مش متربي و متهور ذي جوزك و شكلي كده حاربيه ذي ما ربتلك جوزك.

– يعني إنت إللي عملت كده في جوزي ؟؟... تقولها الأستاذة سهير و قد أُغرقت عينيها بالدموع بعدما تأكدت من شكوكها فيما حدث في زوجها من مقولة الضابط الأخيرة.

لينظر لها الضابط ساخراً ثم يقوم بوضع كلتا يديه في جيوب سرواله الأزرق و يتحرك ببطء حتي يقف بمحاذاتهم ثم يهمس لهم قائلاً بسخرية لاذعة:

– إثبتي لو تقدري.

ثم يقهقه بصوت عالي, و يخرج ليترك لهم الغرفة فيجريا الإثنان علي فراش الأستاذ علي و يجثيا علي الأرض بجوار الفراش و يمسك كل منهم بيده و يأخذان في تقبيله, و تقسم الأستاذة سهير لزوجها بإنها لن يهدأ لها بال حتي تستعيد حق زوجها و كرامته المهدرة, غير عالمة ما إذا كانت ستستطيع أن تُوفي بهذا القسم أم لا, و يلبثا في جلستهما تلك لعدة دقائق حتي يأمرهما جندي الشرطة بضرورة إنصرافهم الآن, ليودعا الأستاذ علي, علي أن يحضرا له صباحاً.

ثم يعود أدهم و والدته إلي المنزل الذي أصبح كأيباً بغياب رب المنزل, فيدلف كل منهم إلي غرفته, و يجلس أدهم علي فراشه للحظات ثم يقوم متجهاً إلي دولاب ملابسه ليفتحه و يتطلع إلي تلك البدل البيضاء لزي الشرطة بأحجامها و مقاساتها المختلفة و الشاهدة علي حلمه الذي أخذ ينموا معه طوال عمره و التي تشغل اكثر من نصف مساحة دولابه ليجمعها جميعاً بعنف لم تعتاده تلك البدلات في تعامله معها ليخرج به من غرفته و يقوم بالمرور علي مطبخ المنزل لإحضار شيء ما يضعه

في جيبه ثم يقوم بفتح باب الشقة في هدوء و ينزل درجات السلم بخطوات متثاقلة حتي يصل إلي مدخل منزلهم الرئيسي حيث يقبع أمام المنزل صندوق القمامة المعدني الذي يجمع فيه حارس المنزل أكياس القمامة الخاصة بالمنزل كله.

يتقدم أدهم لصندوق القمامة هذا ليجده فارغاً بعدما أفرغته سيارة القمامة ليلقي ببدلاته البيضاء بها وسط هتافات و صرخات يسمعها هو فقط و يعرف أن مصدرها هو تلك البدلات البيضاء فكم تحدث معهم عن أحلامه و أماله في أن يرتدي شقيقتهم الكبيرة الرسمية في يوم من الأيام, و كيف كانوا يشجعونه علي المضي قُدماً في طريقه ليحضرها إليهم لتأخذ مكانها بجوارهم.

لكن صرخاتهم و هتافاتهم لم تشفع لهم ليلقي أدهم عليهم بنظرة أخيرة و يخرج ما جلبه من المطبخ فإذا هي علبة الثقاب و يفتحها ليخرج منها عوداً و يشعله لينظر إليه ثم يعيد النظر إلي بدلاته البيضاء و يسمع صريخهم و هم قد علموا ما ينتظرهم من مصير قاسي ليقول لهم أدهم جملته الأخيرة بإنه اليوم هو الذي لا يشرفه أن يرتديهم مرة أخري لا هم و لا شقيقتهم الكبيرة الرسمية بعدما فعل من يرتدونهم ما فعلوه بوالدي و إنه هو الوداع ليلقي بعود الثقاب عليهم.

و يري النار تسري فيما بين ثنايات وطيات تلك البدل البيضاء كالنار تسري في الهشيم و يسمع صوت صراخهم يعلوا أكثر فأكثر و يري لونهم الأبيض الناصع الذي طالما حرص علي أن يبقوا عليه يستحيل للون الأسود و في قراره نفسه قائلاً " أن هذا اللون الأسود هو الأجدر بتلك البدلة البيضاء فهو للون قلوب من يرتدونها أقرب".

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/٠٩

(٦)
يوميات زوجة مطحونة

(٦) يوميات زوجة مطحونة

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/١٠

يدق جرس الإيقاظ بالهاتف المحمول معلناً حلول الساعة السادسة صباحاً ليوم الأحد لتقوم "سهام" بالتلوي في فراشها محاولة أن لا تدهس بجسدها طفلتها الصغيرة "ريتال" الراقدة بجوارها في وضع متعامد علي جسد والدتها لتلتهم ما لا يقل عن نصف الفراش, تمد "سهام" يدها لتتناول هاتفها المحمول و تلقي نظرة متثائبة عليه و علي رنينه الآخذ في العلو تدريجياً لتقوم بالضغط علي زر جانبي في الهاتف لتخرس رنينه حتي لا يوقظ تلك الشيطانة الصغيرة بجانبها التي لو إستيقظت لجعلت بداية يومها بداية غير مشجعة علي الإطلاق.

تلفتت "سهام" لتنظر إلي جسد زوجها المرتمي علي ما تبقي من الفراش واضعاً نفسه في وضع حرج يكفي أن يتحرك لسنتيمترات محدودة فيه ليسقط من علي الفراش, غير واثقة إن كان هذا سيوقظه من إستغراقه العميق في النوم الواضح و الجلي من صوت غطيطه الذي صاحبها في فراشها منذ لحظة وضعه لرأسه علي الوسادة ليلاً و حتي لكزته قبيل الفجر لتخبره أن يقوم بتحريك وضع رأسه لعل فرقة الأوركسترا القابعة

في أنفه تدرك أن موعد رحيلها قد حان لكي تتوقف عن عزف تلك السيمفونيات المتصاعدة.

رمقت "سهام" سقف غرفة نومها متأملة في الثريا المعلقة فوق رؤوسهم أعلي فراشهم, متمنية لو أن اليوم لم يكن مثل باقي أيامها المعتادة و التي تشبه بعضها البعض لعلها تحظي بعِدة ساعات إضافية من النوم, لكن فجأة قطعت "سهام" تأملاتها و أمنياتها تلك لتلقي بنظرها علي شاشة الهاتف المحمول المعلنة عن أن الساعة قد أصبحت الآن السادسة و عشر دقائق صباحاً لتهتف بصوت هامس بجملتها المعتادة التي طالما نقدها إياها زوجها بإنها لا تجوز و إنها حرام مع إنه هو للعجب يتفوه بها من حين لآخر ألا وهي:

– يا نهار إسود, الساعة بقت ستة و عشرة و أنا لسه ماصحتش العيال... لتقفز من تحت الغطاء راكلةً لزوجها بدون قصد, ليتململ قليلاً في نومته ثم يعود مرة أخري إلي ثبات نوم أهل الكهف الذي يغرق فيه يومياً.

تعبر "سهام" الخمسة أمتار التي تفصل بين باب غرفتها و بين باب غرفة أولادها الصبيان " آدم" و " إيهاب" في سرعة و خطوات متقافزة لتوقد مصباح غرفتهم و تنقض علي سريرهم لتزيح الغطاء من علي أصغرهم

"إيهاب" و البالغ من العمر سبع سنوات و هي تصيح في أخيه الأكبر و أكبر أولادها سناً "آدم" و البالغ من العمر ما يقرب من عشر سنوات لكي يستيقظ, و تحمل "إيهاب" ما بين زراعيها محتضنة إياه لتقفز أيضاً الخمسة أمتار الأخري التي تفصل ما بين غرفة الأولاد و دورة المياه لتضيء مصباح الدورة بيد و تحاول الحفاظ علي "إيهاب" بين زراعيها بدون أن تسقطه, لتدلف إلي الدورة و بإحدي قدميها تقوم برفع غطاء المرحاض و في نفس الوقت تقوم بنزع بنطال و سروال "إيهاب" الداخلي بيديها و هي ما زالت تحمله لا تدري كيف هذا ؟؟. فتلك المهارات التي تشبه مهارات لاعبي السيرك تحتاج لسنين و سنين من التدريب, لتقوم بوضعه علي المرحاض و هو ما زال غارقاً في نومه بعدما قضي هو و أخيه الوقت حتي ما يقرب من منتصف الليل في الليلة الفائتة و هم يشاهدون المسلسلات الكارتونية في تلفاز غرفتهم قبل أن يتساقطوا في النوم "إيهاب" أولاً يليه "آدم".

تترك "سهام" ولدها الصغير لكي يقضي حاجته و تغلق عليه الباب لتقوم بالصياح و تنادي "آدم" لكي ينهض من الفراش و يعد نفسه ليلحق بأخيه في الحمام بعدما ينتهي الثاني من قضاء حاجته و لربما يستيقظ بعد ذلك, لتدلف "سهام" إلي المطبخ لتضيء مصباحه بيد و بيدها الأخري تقوم بفتح باب المجمد لتخرج من الدرج السفلي له حقيبة بلاستيكية تحتوي

مطحونة

علي أرغفة من الخبز الإفرنجي "الفينو" المقطعة مسبقاً إلي نصفين و المشقوقة جانبياً لكي تكون جاهزة لوضع محتوياتها بها فور إنتهاء تجمدها, لتقوم "سهام بفتح باب فرن الميكروويف لتلقي فيه بأربعة أنصاف من هذا الخبز و تضغط الزر الخاص ببرنامج إنهاء التجمد ليصدر من هذا الجهاز أزيز متواصل رتيب معلناً عن بدأ عمله لتلتفت إلي الثلاجة لتقوم بفتح بابها و تقوم بإخراج العلب الحافظة للأطعمة و التي تحتوي علي عدة أنواع من الجبن و اللحوم المبردة و المجففة لتهتف منادية علي أولادها "آدم" و "إيهاب" لتخبرهم بماذا يرغبون أن تضع لهم داخل شطائر المدرسة.

كان "إيهاب" قد خرج من الحمام و تحرك إلي غرفته ليأخذ زي المدرسة الخاص به و الموضوع بعناية فوق كرسي مكتبه منذ الليل كما وضعته والدته من قبل ليبدأ في إرتدائه و في ذات الوقت كان "آدم" ما يزال في دورة المياه لكي يقضي حاجاته, ليبلغها كل منهم بما يرغب من محتويات شطائره لتبدأ "سهام" في إعدادها و تغليفها و قبل أن تضعها يجيء إليها "إيهاب" راغباً في تغيير إختياره من حشو الشطائر كعادته كل صباح لتقوم "سهام" بإفراغ شطائره مما بها إن أمكن و تعيد حشوها له من جديد أو تصنع غيرها, لتضع "سهام" شطائرهم النهائية في علب الطعام المدرسية الخاصة بهم مزينة بقطع من الحلوي و علبة من اللبن المحلي

بالفراولة, و تهرول بتلك العلب عائدة إلي غرفة الأولاد لتضعها في حقائب المدرسة الخاصة بهم, و تكمل ما لم يكتمل من إرتدائهم لزي المدرسة فتارة هي تساعد الصغير علي غلق بنطاله و تارة تساعد الكبير علي إرتداء جواربه ثم تحمل حقائبهم علي كتفها و تنطلق فور سماعها لتلك النغمة المميزة علي هاتفها المحمول نتيجة لإتصال مشرفة حافلة المدرسة التي تنذرها بإقتراب الحافلة من المنزل لتصرخ في الولدين لكي يكفا عن تصفيف شعرهم أمام المرآة و لينطلقوا جميعاً إلي باب الشقة.

و علي باب الشقة تفتح سهام الباب بيد و بالأخري تساعد الصغير علي إرتداء حذائه ثم تلقي بإسدال الصلاة عليها و تضع حجابها فوق رأسها كيفما إتفق, ثم تمد يد لتلتقط حقائب الأولاد و باليد الأخري تضغط علي زر المصعد ثم تقوم بدفع الولدين ليخرجا من الشقة و تلتقط مفاتيح المنزل و عندها يهتز هاتفها في يدها مطلقاً ذات النغمة المميزة مرة أخري مؤكدة وصول الحافلة أسفل المنزل, و يستغرق المصعد بضع ثوان حتي يصل إلي بهو العقار ليخرجوا منهم جميعاً يتدافعون ليصلوا إلي الباب حيث لا تجد "سهام" و أولادها الحافلة, و يخبرهم حارس العقار أن الحافلة إنتظرتهم لكن لإزدحام الطريق لم يستطع سائقها الإنتظار كثيراً, لذلك فقد تحرك لإلتقاط من يليهم في مساره علي أن يعود إليهم في طريق عودته إلي المدرسة لتضرب "سهام" كفيها كفاً بكف

علي ما حدث و تنتظر هي و أطفالها في بهو العقار لمدة لم تقل عن ثُلث الساعة حتي دق الهاتف المحمول مرة أخري لتقوم "سهام" من فوق كرسي الحارس الذي تركه لها لتسترح عليه حتي تعود الحافلة, و تتجه "سهام" و هي تتجاذب أولادها حتي باب العقار لكي تجد الحافلة مُقدمةً عليهم و تقوم مشرفة الحافلة بإلتقاط الأولاد من بين يدي والدتهم و يستديرا الولدان ملوحان لوالدتهما و ليقذفا لها بقبلتين في الهواء فتلوح لهم "سهام" و تقذف لهم قبلتين و تنطلق الحافلة بعد صعود المشرفة و الولدين إليها و تعود "سهام" إلي المصعد لتُكمل الفصل الصباحي من تلك الملحمة التي تعيشها كل يوم.

و بعودة "سهام" إلي شقتها تكون الساعة قد قاربت علي السابعة صباحاً لتتجه مباشرة إلي غرفة نومها, لتوقظ زوجها و تتركه لتتجه مرة أخري إلي المطبخ لتعد له شطيرة ليأخذها معه و هو متجه إلي عمله كنوع من الإفطار السريع, ثم تتجه إلي إحدي الأرائك في صالة الشقة و تجلس عليها ممسكة بهاتفها المحمول بين يدها و محاولةً أن تلتقط أنفاسها لدقائق معدودة, بينما يتجه زوجها إلي دورة المياه ثم يخرج منها ليقوم بتحضير حقيبة عمله و يقوم بوضع الشطيرة التي أعدتها له آنفاً بها, ثم يعود لغرفتهم فيرتدي ملابسه و يصفف شعره و يتجه إلي صالة الشقة, حيث تجلس "سهام" ممسكة بهاتفها المحمول و هي تُمضي بعض الدقائق

في التحدث بالكتابة عبر إحدي تطبيقات هاتفها الذكي مع أصدقائها في العمل, و عندما يمر بها زوجها و هو في طريقه ليؤدي صلاة الصبح قبلما يتحرك إلي عمله يسألها قائلاً:

– عندك مشاوير النهاردة ولا شغل بس... يحدثها زوجها و هو يجلس علي مقعد مقابل لها وهو يقوم بإرتداء جوربه.

– آه, حأستأذن من الشغل و بعدين حاروح أقبض المعاش لماما و بعدين حاحود علي مدرسة الولاد, علشان "إيهاب" عامل مشكلة في المدرسة و عايزة أروح أشوف في إيه..... ترد "سهام" علي زوجها "علاء" و أناملها ما زالت تتواثب فوق شاشة هاتفها لتنقل محادثاتها مع رفيقات عملها عبر موجات الأثير.

– ربنا يقويكي, حسيبلك الرخصة بتاعة العربية, علشان إنتي إللي حتجيبي "آدم" علي النادي علشان تمرينه الساعة خمسة و انا مش حالحق أروح و انزل بيه تاني أروح النادي. ماشي ... يقولها "علاء", لتومئ "سهام" برأسها بعلامة الموافقة بينما هو يخرج حافظته لينتزع منها رخصة السيارة و يضعها علي المنضدة أمام "سهام" ثم يقوم بأداء الصلاة ليرتدي بعد ذلك حذائه و يلتقط ميدالية المفاتيح الخاصة به و يفتح الباب و يقول لها و هو يضغط زر المصعد:

مطحونة

– لا إله إلا الله .... مودعاً زوجته و هو يقوم بإغلاق باب الشقة و يفتح باب المصعد في نفس الوقت ليسمعها تردد بسرعة من خلف الباب المغلق كأناملها التي ما زالت تتحرك بسرعة علي شاشة الهاتف:

– محمد رسول الله.

تنتظر "سهام" لمدة ربع ساعة أخري بعد إنصراف زوجها و هي تتحدث مع زميلاتها, حتي تفاجأ بأن الوقت قد أزف وأن الساعة قد قاربت السابعة و النصف لتنطلق مرة أخري في رحلتها المكوكية إلي المطبخ لتخرج من الثلاجة و المجمد ما ستعده من طعام علي الغداء و تضعه في أطباق لتضعها بدورها في حوض المطبخ, ثم تدلف إلي دورة المياه لتغتسل و تتوضأ و تتجه إلي غرفتها فترتدي ملابسها و تصلي الصبح, ثم تذهب لإيقاظ والدتها التي تمكث معهم في تلك الأيام التي تذهب فيها "سهام" إلي عملها لكي تعتني بالطفلة الصغيرة, لتقوم والدتها بالإنتقال للنوم في غرفة "سهام" و تودعها "سهام" لتخرج إلي صالة الشقة و تلتقط حذائها و مفتاح السيارة لتنطلق إلي عملها.

تعمل "سهام" كصيدلانية في إحدي الصيدليات بداخل مستشفي حكومي قريب من منزلهم, تتجه "سهام" بسيارتهم إلي العمل, فزوجها لا يحتاج للسيارة فلعمله حافلة تلتقطه كل صباح من أسفل منزلهم, و تقوم "سهام"

بإيقاف السيارة في مكانها المخصص بالمستشفي و تذهب إلي عملها لتقوم أولاً بالتوقيع في دفتر الحضور و الإنصراف في تمام الساعة الثامنة, ثم تتجه إلي مكان عملها لكي تقوم بصرف الأدوية و العلاج لمرتادي المستشفي, فتظل منكبة علي تدوين و تسجيل ما يصرف من علاج و أدوية للمرضي إلي جانب حصر الأصناف الأخري من الدواء و التي قاربت علي النفاذ, ليتم عمل أمر بإحضار كميات أخري منها و أيضاً هذا لا يمنع من أن تقوم بصرف بعض الأدوية للمرضي عندما يتكاتلوا بأعداد كبيرة علي زملائها صائحين و مطالبين بسرعة إعطائهم مبتغاهم من العلاج فيكفي عليهم المرض فمثلهم من المرضي و أصحاب السقم لا يجب لهم أن يقفوا في صفوف طويلة لكي يقوموا بصرف ما يستحقونه من علاج.

يتنهي عمل "سهام" في الواحدة ظهراً, فهي ما زالت تحظي بتلك الساعة التي تمكنها من الإنصراف مبركاً طبقاً لقوانين العمل من أجل طفلتها الصغيرة, تلك الساعة التي لن تحظي بها ثانيةً عندما تبلغ طفلتها العامين و الثلاثة أشهر و هو ما سيحدث بعد عدة أشهر, لكن بالرغم من ذلك و في تمام الساعة الحادية عشر تقوم "سهام" فتطلب من إحدي زميلاتها أن تحل مكانها, و تتجه إلي مديرة الصيدلية لتأذن لها بالإنصراف مبكراً لكي تقوم بصرف معاش والدتها و الذهاب لمدرسة أولادها و من ثم

العودة لمنزلها لإنهاء واجباتها المنزلية من إعداد لطعام الغداء و إستقبال الأولاد حين يعودون من المدرسة و إنتهائاً بإصطحاب ولدها الأكبر لمران السباحة.

تتجه "سهام" مرة أخري إلي السيارة لتديرها و تتجه إلي مكتب بريد مجاور لعملها, فتجد صفاً طويلاً من أصحاب المعاشات ينتظرون هم أيضاً صرف مستحقاتهم, فتقرر بسرعة أن تقوم بأخذ مكان في هذا الصف الطويل و تستأذن ممن يقفا أمامها و خلفها أن يحافظا لها علي مكانها ذلك الذي لا يقدر بثمن حتي تذهب إلي أولادها لمدة ربع الساعة و من ثم تعود مسرعة فيتعاطف معها الواقفون ظناً منهم إنها تركت أولادها بمفردهم بالمنزل, فتشكرهم علي دماثة أخلاقهم و تنطلق بسيارتها حتي تصل إلي مدرسة أولادها.

و في بهو المدرسة, قامت موظفة الإستقبال بأخذ بياناتها و أسباب زيارتها للمدرسة لتطلب منها الإنتظار قليلاً, حتي تستدعي لها من يجب عليها مقابلته من أجل حل مشكلتها, فأكدت لها "سهام" علي ضرورة الإسراع بالأمر حيث أن وقتها ضيق و إنها تحتاج لأن تعود إلي منزلها بسرعة. لم يمر خمس دقائق حتي أتت الأستاذة المسئولة عن صف ولدها الصغير "إيهاب" لتخبرها كيف أن ولدها هذا يتفنن في إيذاء أصدقائها و مضايقتهم كما إنه لا يقوم بالإنتباه لها أثناء الشرح مع إنه يتميز بالذكاء

الشديد و الحنان, فتتوعد "سهام" أستاذته إنها ستخبر أباه لكي يقوم بتقويمه و تحسين سلوكه و تشكرها علي متابعها له.

تنطلق "سهام" تلك المرأة المكوكية مرة أخري بسيارتها لتعود إلي مكتب البريد, و تقوم بالإندساس في مكانها السابق داخل الصف, ذلك الصف الذي ما زال يحافظ علي حجمه المهول بالرغم من إنصراف العديد من ركابه إلا أن من يحل محلهم في ذيل هذا الطابور يكونون أكثر بكثير ممن ينصرفون, لكن تحمد "سهام" الله علي إقترابها من النافذة التي ستقوم بصرف معاش والدتها منها فلا يفصلها عنها سوي ثلاثة أفراد. لكن يتدخل القدر قبل وصولها للنافذة بفرد واحد بإعلان الموظف المنوط به صرف المعاشات بهذه النافذة أن الأموال التي لديه قد نفذت و أن من يرغب في صرف مستحقاته اليوم عليه أن ينتظر لعل العربة التي تقوم بتوصيل الأموال إلي مكتب البريد تصل في خلال الساعة القادمة, لتلقي "سهام" نظرة قلقة علي ساعتها مدركة أن الساعة قد قاربت الساعة الواحدة ظهراً و إنها يجب أن تعود إلي منزلها مسرعة لكي تعد طعام الغداء قبل عودة أولادها من المدرسة, فتنتزع "سهام" نفسها من هذا الصف إنتزاعاً, علي أمل أن تعود غداً للمحاولة مرة أخري.

تتحرك "سهام" بسيارتها من أمام مكتب البريد, لتجد نفسها عالقة في الزحام الشديد في الطريق و تتسائل كيف سيكون الحال عندما تنتهي من

عملها بعد عدة شهور في تمام الساعة الثانية لتخرج إلي هذا الطريق و قد بلغ ذروة الزحام مع إنتهاء العمل بجميع المدارس و المؤسسات الحكومية في مثل هذا التوقيت, تتنهد "سهام" تنهيده عميقة و تقرر أن تترك الغد للغد لكي تفكر فيه. و مع بودار الإنفراج في هذا الزحام تنطلق بالسيارة حتي تصل إلي المنزل لتقوم بوضع السيارة في جراج مجاور لمنزلهم.

تصل "سهام" إلي باب شقتها و بمجرد أن تضع المفتاح في الباب تجد من يهتف بإسمها بالداخل بفرحة شديدة, و عندما تقوم بفتح الباب تجد طفلتها الصغيرة الجميلة و هي تتواثب أمام الباب فرحة بوصول والدتها لتجري إليها و تتعلق بها و تمد لها يديها راغبةً في أن تحملها.

تحملها "سهام" إلي صدرها مقبلةً إياها في نهم شديد يعبر عن مدي إشتياقها لها و تقوم بنزع حذائها و هي تتحدث مع والدتها التي لحقت بالطفلة الصغيرة سائلة إياها:

– أكلتيها يا ماما ؟؟؟ و صحيتوا إمتي ؟؟

– أكلتها أكلها كله و غيرتلها. صحينا من ساعتين... ترد والدتها عليها و هي تقوم بإرتداء عبائتها معلنةً عن قرب إنصرافها.

فتسألها "سهام" و هي ما زالت تحمل طفلتاه :

– إنتي حتمشي؟؟؟ خليكي قاعدة معايا و نتغدي سوي.

فتجيبها والدتها بإنها لن تستطيع و إنها يجب أن تنصرف عائدة إلي منزلها, فأمامها الكثير من الأعمال المنزلية المعلقة لم تكملها البارحة و واعدةً إياها إنها ستعود إليهم مساءاً للتتناول معهم طعام العشاء و لتمكث معهم الليلة أيضاً حتي تستطيع أن تذهب "سهام" لعملها غداً و أيضاً أن تجلب لها معاشها الذي لم تستطع إحضاره اليوم.

تودع "سهام" والدتها و هي في غرفة نومها تقوم بإستبدال ملابس العمل بملابس المنزل و طفلتها الصغيرة تعبث في جميع محتويات الغرفة و تقوم بإخراج مافي الأدراج.. لتقوم "سهام" بتعنيفها و زجرها بشدة لكي لا تفعل ما تفعله بحدة لا تتناسب مع شلالات القبل و الحنان التي غمرتها بها منذ لحظات لدي وصولها.

تنطلق "سهام" إلي المطبخ و هي تجذب طفلتها المتعلقة بطرف ثوبها إلي أن تصل إلي المطبخ لتبدأ ملحمة إغريقية أثناء تحضير طعام الغداء, بداية من محاولات إقناع "ريتال" بالكف عن إفراغ حاويات المطبخ من محتوياتها من أواني الطهي و غيرها مروراً بتنظيف و جمع ما تسكبه و تخرجه "الشيطانة الصغيرة" من محتويات الثلاجة من عصائر و فاكهة

مطحونة

حتي البيض في أعلي باب الثلاجة لم يسلم منها و هي تحاول تسلقه محاولةً الوصول إلي أحدي حاويات المطبخ و التي تقع أعلي الثلاجة إنتهائاً بإنقاذ المنزل من الإحتراق نتيجة لعبث "ريتال" بأزرار الموقد, لتنتهي تلك الملحمة بطريقة ما و قد نجحت بعد جهد خرافي يفوق جهد سيزيف* لكن بدون عبثيته في أن تنتهي من إعداد طعام الغداء بدون أي خسائر في الأرواح أو الأواني.

*(*سيزيف : سيزيف أو سيسيفوس, كان أحد أكثر الشخصيات مكراً بحسب الميثولوجيا الإغريقية, حيث إستطاع أن يخدع إله الموت ثاناتوس مما أغضب كبير الآلهة زيوس, فعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلي أعلاه, فإذا وصل إلي القمة تدحرجت إلي الوادي, فيعود إلي رفعها إلي القمةو و يظل هكذا حتي الأبد, فأصبح رمز العذاب الأبدي)*

تلقي "سهام" بنفسها بعد إنتهائها من تجهيز طعام الغداء فوق أريكة الصباح و تقوم بإجلاس طفلتها أمامها و قد تلوثت تلك الطفلة التي كانت جميلة و مهندمة و نظيفة بكل انواع الصبغات و الألوان الناتجة من عملية طهو الطعام لتبدو هي و والدتها كمن خرجوا لتوهم من معركة حربية لكن بدلاً من الدماء و الرماد كان هناك خليط من عصير الطماطم و العصائر.

و بالرغم من كل هذا أخذت "سهام" في ملاعبة طفلتها التي كانت جميلة حتي دق الهاتف المحمول الخاص بها بتلك النغمة المميزة معلناً عن وصول الشيطانين الكبيرين, لتثب "سهام" من جلستها التي لم تستمر أكثر من عشرة دقائق لكي تقوم بضغط زرائر هاتف الإتصال الداخلي الذي يصلها بحارس العقار لتبلغه بإقتراب حافلة المدرسة الخاصة بولديها لكي يقوم بتناولهما من مشرفة الحافلة و الصعود بهما في المصعد لتتسلمهم منه عند باب الشقة.

يقوم "إيهاب" فور دخوله من باب المنزل بإلقاء حقيبته المدرسية من علي كتفه في عنف و الإطاحة بحذائيه لتتجه كل فردة منه إلي إحدي جوانب الصالة ليقول و هو يدق بقدميه الأرض بعنف شديد و تبدو ملامح الغضب الشديد في كل ملمح من ملامح وجهه الصغير:

– أنا مش رايح المدرسة الزفت دي تاني

– ليه ؟؟ إيه إللي حصل ؟؟ فيه إيه ؟؟؟ ... ترد "سهام" و هي تقوم بإلتقاط حذاء "إيهاب" و حقيبته و هي تهرول خلفه في محاولة لفهم ماذا حدث, و عندما لم يجبها و إندفع إلي دورة المياة مغلقا بابها خلفه في عنف, لتستدير "سهام" إلي ولدها الأكبر "آدم" لتسأله إذا ما كان يعلم ماذا حدث لأخيه حتي ينفعل لهذه الدرجة.

فيبدأ "آدم" في الشرح لها كيف أن هناك ولدين من مرحلة سنية تفوقهما قاما بالتحرش بأخيه الأصغر و مضايقته فإندفع "إيهاب" نحوهما محاولاً ضربهما ليقوما بضربه بدلاً من ذلك,فليندفع "إيهاب" باحثاً عن أخيه الأكبر "آدم" ليجده مع أصدقائه ليحكي لهم باكياً عما حدث له فيقوم "آدم" و أصدقائه بالتوجه لهاذين الولدين و يقوموا بالشجار معهم و أثناء تلك المعركة يمر أحد مدرسي مادة التربية الرياضية فقام بإيقافهم جميعاً و التوجه بهم لمكتب مديرة المرحلة التي عنفتهم جميعاً و هددتهم بإستدعاء أولياء أمورهم إذا تكرر منهم هذا الفعل مرة أخري و بالأخص "إيهاب" الذي أصر الولدان الكبيران علي إنه من بدأ الشجار, الأمر الذي لم يتحمله "إيهاب" و جعله في هذه الحالة من الغضب الشديد.

فتقوم "سهام" بالنقر علي باب دورة المياة و محدثة صغيرها إنها غير غاضبة منه و إنها علي العكس ستتجه غداً إلي المدرسة لمقابلة تلك المديرة و لومها علي تعنيفها له و إنها ستحرص علي أن تأخذ له ثأره من هؤلاء الأولاد المشاغبين, فيخرج طفلها لها فتحتضنه و تقبله لتقوم بعد ذلك فجأة بالصياح فيه في مشهد عجيب من الحنان الممزوج بالغضب لأنه قد قام بإضاعة الوقت حيث إنه يجب عليهم تناول طعام الغداء فوراً, حتي يتسني لها تحضير "آدم" للذهاب إلي مران السباحة الخاص به.

في نفس الوقت يدق جرس باب الشقة, ليقفز "إيهاب" من بيد يدي والدتيه و هو ما زال بملابسه الداخلية متجهاً إلي باب الشقة ليقوم بفتح بابها فهو يعلم جيداً من هو خلف هذا الباب المغلق فهاهي جدته "علياء" والدة أبيه قد قدمت إيهم مباشرة بعد إنتهائها من عملها لكي تقوم بمجالسته هو و أخته الصغيرة حتي تستطيع والدته و "آدم" الذهاب إلي مران السباحة و ملاقاة والدهم هناك, فيرتمي في أحضانها و يقص لها ما حدث معه في المدرسة و كيف عنفته تلك المُدرِسة و تسألها والدة زوجها هل ما يقصه "إيهاب" حقيقي ؟ و كيف ستتصرف هي إزائه ؟ فتخبرها "سهام" بإنها تنتوي الذهاب غداً إلي المدرسة لتتقصي ما الموضوع و تقوم بحل تلك المشكلة.

يقوم الولدان بعد ذلك بإستبدال ملابسهم, الصغير يرتدي ملابس المنزل بينما يرتدي "آدم" ملابس تصلح للخروج و تحت منها يقبع لباس السباحة بدلاً من ملابسه الداخلية ليجلسوا جميعاً إلي مائدة الطعام بما فيهم والدة زوجها و طفلتها ليتناولا طعام الغداء علي عجالة ثم تقوم "سهام" بجمع الأطباق الفارغة و تهرول إلي المطبخ لتلقيهم في حوض المطبخ منبهةً علي والدة زوجها بأن لا تقوم بتنظيفهم و أن تكتفي هي بالإعتناء و مجالسة صغيريها لحين عودتها هو و زوجها من مران السباحة.

مطحونة

تقوم "سهام" بإعداد علبة من تلك العلب المقسمة لخانات لتضع بها جميع ما إحتواه طعام الغداء من أصناف الطعام و تضعها في حقيبة قماشية و تضع معها زجاجة من الماء البارد و بضع قطع من الحلوي, و تضع تلك الحقيبة جنباً إلي جنب مع الحقيبة الرياضية التي تحتوي علي ما يحتاجه "آدم" في مرانه من نظارات السباحة و أغطية الرأس و معطف السباحة و غيرها من الأدوات.

ترتدي "سهام" بعد ذلك ملابسها في سرعة شديدة حتي إنها لا تدري ماذا إرتدت و حتي إن كان ما إرتدته يتناسق مع بعضه البعض أم لا, و تتذكر "سهام" كيف كانت هي و زوجها في بداية زواجهما حريصان أشد الحرص علي إرتداء ما يليق و ما يتناسق مع بعضه البعض من الملابس حتي كان الكثير ممن حولهم يغبطونهم إن لم يكن يحسدونهم علي ذوقهم و حسن إختيارهم لما يلبسونه, أما الآن فقد وصلا إلي مرحلة من اللاإهتمام لم يصلاها من قبل طالما ما يرتدونه يستر أجسادهم و يقيهم شر المناخ و تقلباته فلا شيء آخر يعنيهم, دار هذه الخواطر في سرعة في عقل "سهام" و هي تتطلع لنفسها في مرآة المصعد و هي في طريقها إلي أسفل هي و ولدها "آدم".

تنطلق "سهام" بالسيارة في سرعة شديدة و غضب واضح محاولة اللحاق بموعد مران ولدها و الذي بذلت الكثير من الجهد لكي لا تلحق به, لتجد

مطحونة

بعد كل ذلك السيارة في الجراج غير معدة للإنطلاق بوجود ثلاث سيارات تغلق عليها طريق الخروج بالرغم من تنبهيها علي عامل الجراج بإعداد السيارة لكي تكون معدة للإنطلاق في ساعة محددة, حتي تستطيع إلتقاط زوجها في الطريق و اللحاق بالمران في موعده حتي لا يؤنب المدرب "آدم" كعادته كلما تأخر أو كلما أظهر براعة في المران !!! نعم كما سمعتموننني فالمدرب لا ينفك يؤنب "آدم" كلما أظهر تفوق في المران علي أقرانه مما يحصلون علي مران خاص معه خارج إطار مران النادي الرسمي, هذا الأمر الذي يصر والد أدهم علي أن لا يحدث و أن علي ولده "آدم" التفوق في رياضته بمجهوده الخاص و إرادته الصميمة.

بالرغم من كل ذلك التأخير و المعوقات لكن بفضل الله أولاً و بقيادة "سهام" الجيدة و المتهورة أحيانا ثانياً, تستطيع "سهام" أن تلتقط زوجها من الطريق بعد أن إنتظرها لخمس دقائق فقط, فزوجها في تلك الأيام التي بها مران السباحة لأحد ولديه يقوم بإستقلال حافلة أخري من حافلات العمل لكي تصل به إلي مكان قريب من مكان مران أولاده لينتظر زوجته التي تلتقطه في طريقها ثم يذهبان معاً إلي المران و عندها يتولي زوجها زمام الأمور قليلاً.

مطحونة

فبعد وصولهم لمدرجات المسبح يقوم زوجها بإفراد سجادة بلاستيكية يأخذونها في الرحلات و يضع عليها حقائبهم لتجلس هي أخيراَ بعد الصراع مع الزمن الذي صالت و جالت فيه لتصل إلي المران قبل موعد بدايته بعشرة دقائق كاملة, تلك الدقائق التي تكفي لزوجها لكي يجلسهم جلستهم المعتادة تلك ثم يقوم برفع ولده و إيقافه أمامه ليبدأ نزع ملابسه عنه قطعة قطعة حتي لا يبقي ما يستر جسده الصغير سوي لباس السباحة الضئيل ذلك, ليقوم بحرفية شديدة و سرعة بإلباسه لمعطف السباحة و غلق جراره ليقيه لسعات البرد التي أخذت تقضم في جسده بنهم في تلك الثواني التي مكث فيها عارياً, ثم يضع غطاء الرأس علي "آدم" وسط إعتراضه و تذمره لرغبته في عدم إرتدائه كما يفعل البعض من زملائه, لكن يصر والده علي إرتدائه إياه حفاظاً علي شعره و أذنيه ضارباً بعرض الحائط إعتراضات و تذمر ولده ليضع نظارة السباحة علي عينيه و يناوله باقي أدواته أمراً إياه أن يتجه لمرانه مع أن يحرص علي جودة أدائه و إلا لاقي منه الأمرين.

يجلس بعد ذلك زوج "سهام" ليتناول غدائه من تلك العلبة التي تحتوي علي كل ما لذ و طاب من طهي زوجته بسرعة و نهم لينتهي منه في خمس دقائق علي الأكثر, و ينادي بعد ذلك علي عامل المشروبات في النادي ليحضر لهم شرابهم المفضل من الشاي الأخضر, ثم يجلسا معا

يحتسيان الشاي و هما يتحدثان عن يومهما و كيف كان, لتبدأ هي بشكواها من أولاده و كيف لا يمتثلون لأوامرها و يصرون علي تنفيذ رغباتهم دونما الرجوع إليها ثم تقص عليه كيف كان يومها في العمل و ما لاقته من صعوبات و مشاكل و عما حدث في مكتب البريد و المدرسة و الجراج ليستمع إليها منصتاً في أغلب الوقات و معلقاً في بعض الأحيان ثم بعد أن تنتهي من حديثها يبدأ هو حديثه كيف كان يومه في العمل و المشاكل اليومية التي مر بها مع زملائه و رئيسه لتنتهي تلك النقاشات و الشكاوي من كلا قاصيها في النصف الأول من المران و الذي يستغرق في المتوسط ما لا يقل عن ساعة و نصف, متخللاً لحديثهم عدة مرات من التوقف عن السرد بسبب غضبهم من مران ولدهم لما يلاحظوه من غش و خداع من زملائه في فريق السباحة و ما يصاحبه من محاباه من المدرب و تجاوز لتلك الخدع و محاولات الغش ليجد كل منهم و قد إرتفع ضغط دمائه و أوشكا علي أن يغشيا عليهما من هول الإنفعال و الغضب ليقررا عدم الإلتفاف و الكف عن مشاهدة المران حتي إنتهائه حفاظاً منهم علي ما تبقي من عقلهم و دمائهم دونما الإحتراق.

يجلسا بعد ذلك كل منهما صامتين لدقيقتين قبل أن ينكب كل منهم علي هاتفه المحمول إما بالتحدث بالكتابة مع أصدقائها في العمل كما تفعل

"سهام" أو بتصفح صفحات مواقع التواصل الإجتماعي كما يفعل زوجها عادةً و عند إنتهاء المران يقوم زوجها بالهبوط إلي المسبح ليساعد ولده علي الخروج منه ليأخذه إلي دورة المياه حيث يقوم بإحمامه و مساعدته في إستبدال ملابسه مرة أخري و لا مانع من أن يقوم زوجها خلال هذا من توبيخ و لوم "آدم" علي هفواته و تقصيره في المران, في أثناء هذا تكون "سهام" قد إنتهت من جمع أشيائهم و التوجه إلي السيارة لتنتظر زوجها و ولدها حتي يصلا إليها و يدير زوجها المحرك و يتحرك بالسيارة لتلقي هي مقعدها الأمامي المجاور لزوجها إلي الخلف قليلاً محاولةً أن تأخذ قسط من النوم لحين وصولهم إلي المنزل.

تحاول "سهام" أن تحظي بذلك القسط من النوم دون جدوي فتلك الغفوة يتخللها دائماً الكثير من المقاطعة إما بسؤال يلقيه ولدها "آدم" علي أبيه من المقعد الخلفي بجانب أذنها و بإجابة أبيه عليه أحياناً أو نهره عن إلقاء المزيد من الأسئلة و الإستفسارات في مثل هذا الزحام الذي يعلقون فيه دائماً في هذا التوقيت من اليوم, أو أحياناً أخري يفزعها صوت صياح زوجها و هو يسب أو يلعن أحد السائقين الآخرين الذين لا يفقهون شيئاً في القيادة و لا في أداب و قوانين المرور علي حد قوله. و تارة أخري يوقظها إرتطامها بلوحة القيادة مع هذا الصرير المرتفع للعجلات جراء توقف السيارة المفاجيء نتيجة لتوقف الطريق أمامهم فجأة و

مطحونة

ضغط زوجها لمكابح السيارة بكل قوة متفادياً الإصطدام بمن أمامه من السيارات و مطلقاً سيلاً من السباب لاعناً حظه العاثر الذي جاء به في مثل تلك البلاد التي لا يفقه بها أحد أبسط من قواعد و أداب القيادة "كما لو كان هو من غير قاطني تلك البلد يا للعجب!!" تحدث "سهام" بها نفسها و هي تتحسس جبينها الذي ما زال يؤلمها جراء الإرتطام السابق.

يصلا الزوجين و معهما ولدهما إلي منزلهما بعد صراع مع الطريق و سائقيه و مطباته الصناعية و الطبيعية "بفعل أعمال الحفر و التخريب و الإهمال و الفساد" ليضعوا السيارة في الجراج, و لم يمنع ما لاقوه من عذاب و إرهاق طوال الطريق أن يقوم زوجها بتوبيخ عامل الجراج علي عدم إعداده للسيارة في موعدها كما حدث مع زوجته عصر هذا اليوم و كيف أن بهم ما يكفيهم من الهموم و المشاكل التي لا يحتاجون إلي إضافة مشكلة جديدة تخص السيارة و الجراج إليها.

تترك "سهام" زوجها في حواره و جداله مع عامل الجراج و تتجه هي و "آدم" إلي متجر الأغذية الذي يتوسط الطريق ما بين الجراج و المنزل فتقوم بشراء لتراّ من اللبن و خبزاً أفرنجي و بينما تقوم بإعطاء البائع ثمن ما أشترته كان "آدم" يجذبها من طرف ثوبها راغباً في شراء بعض الحلوي كما لو كان المنزل يخلوا منها, فأبيه حريص مع بداية كل شهر أن يقوم لهم بشراء العديد من أصناف الحلوي بكميات كبيرة و يقوم

بتخزينها بالمنزل ليأخذ منها الأولاد كل صباح عند ذهابهم للمدرسة, لكن كما قلنا هذا لم يمنعهم من حين لآخر كما يحدث الآن من أن يبتاعوا أصنافاً أخري, لكنهم يحرصون علي أن يتم هذا في غير وجود والدهم حتي لا يسمعهم محاضرةً في كيفية الإرشاد في الإنفاق و أضرار البذخ و كيف أن هناك الكثير من الأطفال غيرهم لا يحظون بعُشر ما يحظون به من رفاهية و ترف العيش.

تقوم "سهام" بشراء ما يبتغيه "آدم" من الحلوي و تحرص علي شراء مثله لـــ"إيهاب" و تنقد البائع ثمنها في ذات الوقت الذي يكون زوجها قد أنهي جداله مع عامل الجراج و قام بالتنبيه عليه بضرورة الإلتزام بدقة المواعيد, ليتجهوا جميعاً إلي المنزل ليجدوا والدة زوجها و قد أعدت نفسها للرحيل, حيث لا يجدي معها أي رجاء من "سهام" و زوجها و لا حتي من الأطفال في أن يثنيها عن الرحيل لكي تمكث معهم فترة أطول و لكي تتناول معهم طعام العشاء, لكنها تتركهم مودعة بعد أن تلثم الأطفال كل واحد منهم بسيل من القبل المختلطة بالأحضان الدافئة, متعللة بأن هناك ما يشغلها بمنزلها و إنها ستأتي لهم غداً لتمكث معهم فترة أطول.

يتركونها مودعين لينطلق بعد ذلك كل منهم ليكمل باقي يومه, "سهام" و زوجها و "آدم" يقومون بإستبدال ملابسهم بينما يسمعون صريخ "ريتال"

و قد إنتهز "إيهاب" فرصة إنشغالهم عنه و قام بمضايقتها و ضربها حتي أبكاها, ليخرج والده من غرفته و هو حتي لم يكمل إرتداء ملابسه ليقوم بتوبيخه و ضربه و جره إلي غرفته و التأكيد عليه أن لا يغادرها حتي تأتي والدته لتقوم بمراجعة ما قام بأدائه من واجبه المدرسي في غيابهم و لكي تقوم والدته أيضاً بإعطائه المزيد من الواجب المنزلي, لتجيئ "سهام" و معها "آدم" بعد ذلك و يجلس كل من الولدين علي مكتبه لتبدأ تلك المعركة الليلية التي لا ينفك جيرانهم في العقار من سماع تفاصيلها بسبب صياح "سهام" و زوجها مع ولديهما طوال الوقت و يتخلله من حينٍ لآخر بكاء أحدهم أو صريخ "ريتال" الصغيرة عندما تقوم والدتها بطردها من غرفة الأولاد بعدما تكون قد عبثت بجميع محتويات الغرفة و بعثرتها في أرجائها و لا مانع من ان تقوم بتمزيق كتاب ما أثناء ذلك العبث و اللهو المدمر, حيث يلتقطها والدها من أمام باب الغرفة بعد أن يتم طردها منها و يمضي ساعات إستذكار الأولاد في محاولات مستميتة منه لإثنائها عن العودة إليهم محاولات تتسم بالعطف تارة و بالعنف الشديد و الغضب تارة أخري.

تنته تلك المعركة الليلية اليومية في غضون الساعتين بعد عودتهم إلي المنزل فيما يقرب من الساعة العاشرة مساءاً لتكون "سهام" بذلك قد قضت ما يقرب من ستة عشر ساعة من الإجهاد المتواصل يشوبها عدة

دقائق من الراحة الجسدية التي تخلوا كثيراً من الراحة الذهنية بل و تمتلئ في أغلبها بالتوتر و الإنهاك الذهني في التخطيط لما سيلي تلك الراحة الجسدية من إنهاك جسدي و عقلي معاً.

لكن يوم "سهام" لا ينتهي بإنتهائها من الإستذكار مع أولادها, ففي هذا التوقيت تكون والدتها قد عادت إليهم لتمكث معهم تلك الليلة أيضاً لكي تعتني بالطفلة الصغيرة عند إنصرافهم جميعاً صباحاً إلي أعمالهم و مدارسهم, ليتقافز الأطفال حولها في سعادة مضاعفة تنبع من سببين أولهما إنهم قد إنتهوا من إستذكارهم و واجباتهم المدرسية لهذا اليوم, هذا الإستذكار الذي يلاقون فيه أصناف من العذاب علي أيدي والديهم و ثاني الأسباب إنهم سيحظون بفاصل من اللهو و المرح بين يدي جدتهم, لتقوم "سهام" أثناء لهوهم الأخير هذا بنسج خيوط الفصل الأخير من ملحمة يومها بإعدادها لطعام العشاء و الذي يتكرر خلاله ما يحدث في مأسآتها الصباحية في إعداد أطعمة الإفطار من عدم إستقرار رأي الأطفال عما يرغبون في تناوله علي العشاء من الطعام, و الذي ينتهي بأن يقوم والدهم بزجرهم جميعاً و إختياره ما سيتم إعداده لطعام العشاء.

يجلسوا جميعاً علي طاولة الطعام الصغيرة بغرفة المعيشة ليتناولوا طعام العشاء بينما تجاهد "سهام" محاولةً إقصاء "ريتال" عن رغبتها الأكيدة و تصميمها الشديد في أن تقوم بدس يديها في كل أطباق الطعام و سكبها

علي الأرض و علي من يتناولون هذا الطعام لينتهي هذا الجهاد و قد إنتهوا جميعاً من تناول طعام العشاء بإستثناء "سهام" التي إما لم تستطيع أن تلحق بركب الجائعين الجالسين إلي جوارها و الذين قد قاموا بإلتهام الطعام كما لو كانت وجبتهم الأخيرة أو لعدم وجود رغبة لديها في الأساس لتناول الطعام نتيجةً للكم الرهيب من الإكتئاب و الإنهاك التي تشعر به في نهاية يومها بعدما بذلت فيه من مجهود ينوء بحمله الرجال.

تقوم والدتها بجمع الاطباق الفراغة و تتجه بها إلي المطبخ لتنظيفهم, بينما يقوم زوجها بجذب الأولاد إن لم يكن حملهم حملاً لوضعهم في فراشهم حيث أن وقت نومهم قد حان,و إنهم لابد أن يخلدوا إلي النوم الآن لكي يستطيعوا الإستيقاظ مبكراً للذهاب إلي المدرسة و حتي لا تعاني والدتهم معهم من أجل إيقاظهم صباحاً مثل كلي يوم.

كل محاولات الإقناع تلك من والدهم بضرورة ذهابهم إلي النوم مبكراً تدور وسط حلقة مفرغة من إعتراضاتهم بل و أحياناً بكائهم حتي يتوصلوا جميعاً بعد تدخل جدتهم لحل وسطي بأن يتركهم يشاهدون بعض من الأفلام الكرتونية علي التلفاز في غرفتهم لفترة لا تزيد عن ربع الساعة, عليهم بعدها أن يخلدوا إلي النوم فوراً و إلا فهم يعلمون ما سيلاقونه منه.

في نفس هذا الوقت تكون "سهام" قد إصطحبت شيطانتها الصغيرة "ريتال" إلي غرفة نومهم و يبدأ بينهم صراع الجبابرة من أجل أن تخلد "ريتال" إلي النوم, عل أمل أن تترك فسحة من الوقت لوالدتها لكي تستمتع بالهدوء بدون أطفالها و لو لنصف ساعة قبل أن تخلد هي نفسها إلي النوم, و من داخل غرفة نوم "سهام" تتعالي أصوات بكاء الطفلة و هي تحاول الوثب من بين ذراعي والدتها بالرغم من علامات النعاس التي تتواثب في عينيها إلي جانب صيحات "سهام" تخبرها بأن تخلد إلي النوم, ليتبع هذا الفاصل من البكاء و الصياح فترة من السكون و الصمت الحذر حيث يجلس زوجها مع والدتها في غرفة المعيشة في إنتظار ما قد يسفر عنه هذا الصمت بعد الصراع المرير الذي هدأ فجأة.

نتيجة هذا الصراع دائماً ما تكون إحدي النتيجتين لا ثالث لهما, أولهما أن تخرج "سهام" من الغرفة منهكة و علي شفتيها شبح لإبتسامة هزيلة تعني ضمنياً إنها قد إنتصرت و أن الشيطانة الصغيرة قد خلدت إلي النوم و ثانيهما أن يجدوا الطفلة تتقافز و تثب إلي غرفة المعيشة حيثما يجلسون و علي وجهها أعتي علامات السعادة و الظفر بإنتصار إرادتها الحرة علي رغبات والدتها المسيطرة يتبعها ظهور"سهام" في ذيلها و اليأس يعتلي كل ملامح وجهها هي تنعي حظها العاثر مع أطفالها.

لكن إذا حالفها الحظ و إستطاعت الإنتصار علي صغيرتها و أن تُملي إرادتها عليها, تتجه "سهام" أولاً إلي غرفة أولادها لتجدهم و قد غرقوا في النوم لتغلق التلفاز و تقوم بتحضير حقائبهم المدرسية من أجل الغد و تضع ما يجب أن يحملوه من كتب و كراريس تخص ما سيتلقونه غداً من فصول دراسية, وبعد أن تنتهي من ذلك تذهب لتجلس بجوار زوجها علي الأريكة في غرفة المعيشة و في يدها هاتفها المحمول تتابع علي شاشاته الصغيرة المضيئة ما فاتها من حديث بين أصدقائها و لتختلس النظر إلي شاشة التلفاز ما بين الحين و الآخر لتري ما يشاهده زوجها و والدتها, و لكن لا يستمر هذا الوضع طويلاً لتجد "سهام" و قد قتلها التعب و إفترسها الإجهاد و قد أسدلت رأسها علي صدرها و أغلقت عينيها و راحت فريسة للنوم و قد سقط هاتفها من يدها لتلبث في وضعها هذا عدة دقائق قبل أن يشعر بها من حولها و قد غابت في النوم ليقوموا بإيقاظها و أخبارها أن موعد النوم قد حان و إنه يجب أن تنهض لكي تذهب إلي فراشها.

يتجهوا جميعاً بعد ذلك إلي أفرشتهم و تندس "سهام" في الفراش تحت الغطاء بجوار صغيرتها التي تكون بالفعل قد أدارت جسدها الضئيل ليشغل أكثر من نصف الفراش و خوفاً من أن تستيقظ تلك الشيطانة الصغيرة إذا ما حاولوا إدارتها لتحيل ليلهم إلي نهار قررت هي و

زوجها أن يخلدوا إلي النوم في ما تبقي خالياً من الفراش, ليضع زوجها رأسه علي الفراش و يتعالي غطيطه في ثوان, و توقن "سهام" إنها لن تحظي بليلة هادئة من النوم فتلكزه ليتوقف عن إصدار هذه الأصوات المزعجة لكي تحاول "سهام" أن تخلد للنوم فغداً يوم آخر طويل ينتظرها.

يومُ يستحق أن تحفر أحداثه بحروف من ذهب في كتاب أيضاً من ذهب تقطر منه قطرات العرق و الجهد, كتاب حفر علي غلافه ذلك العنوان المميز "يوميات زوجة المطحونة".

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/١٥

(٧)

العروسة

(٧) العروسة

الإسكندرية في ٢٠١٣/١٢/١٦

تململ "معتز" في جلسته و هو ينتظر بجوار والديه في غرفة الصالون تلك التي تنم عن ذوق رفيع و أصالة عميقة ذات جذور ضاربة في الماضي فتلك اللوح الزيتية المعلقة علي جميع حوائط الغرفة يبدو شكلها قديم قدم الأزل و تلك التوقيعات الأجنبية التي ذيلت بها تلك اللوح تدل علي قدر معرفته علي أن من قاموا برسمها فنانون غير مصريين مما يعظم من شأنها في نظره حتي قطع الأثاث تلك التي يجلسون عليها و المطلية باللون الذهبي تتجلي بها أدق تفاصيل الجمال و الفنية الحرفية في نقوشها و طلائها و قماشها حتي طرازها نفسه يوحي بالفخامة و الأصالة, لكن من هو حتي يعطي رأياً في مثل تلك الأمور فمهنته و إنشغاله بعمله كمحاسب في فرع أحد المصارف الإستثمارية الأجنبية العملاقة في دبي جعلت من حياته مجرد سلسلة من الأرقام و المعاملات التي لا تنتهي, مما يجعلها تفتقر لكثير من اللمسات الجمالية .

تلك اللمسة التي طالما إشتاق لها منذ سنون مراهقته الأولي, فعلي عكس جميع رفاق عمره في تلك المرحلة من العمر كان "معتز" يشتاق إلي تلك المعرفة الغريزية إلي الجنس الآخر و التي يصبوا إليها معظم رفاقه من المراهقين لكن بطريقة أخري غريبة علي من هم في مثل عمره, فمن

المعتاد علي هؤلاء الشباب الصغار المراهقين أن ينقادوا وراء غرائزهم بالقدر التي تسمح به عاداتهم و إمكاناتهم فمنهم من يشبع غرائزه بمشاهدة بعض المجلات الإباحية أو الأفلام المصورة الإباحية و منهم من يحاول أن يشبع غريزته بطريقة مباشرة عن طريق إقامة علاقات مباشرة مع الجنس الآخر و منهم من هو علي قدر من الأخلاق و الوعي و الإلتزام مما يجعله ينوء عن فعل ما يفعله الآخرون سالفو الذكر لكن إلتزامه لم يمنعه من أن تكون أحلامه هي منفذه لإشباع تلك الغرائز و الرغبات حيث يفعل بها كل ما يمنعه إلتزامه من أن يفعله علي أرض الحقيقة.

أما "معتز" فالوضع بالنسبه له كان مختلف فأحلامه لم تكن لنستطيع أن نصفها بالجِنسية, فالأمر معه لم يكن مجرد إلتزام أخلاقي أو تربية جيدة من والديه لكن الوضع كان أشبه بالحلم الرومانسي مع أن "معتز" أيضاً بشخصيته الحالية تلك قد يكون أبعد ما يكون عن الرومانسية لكن كما قلنا من قبل فالأمر بالنسبة له كان كمن ينساب إلي بوتقة الحلم الوردي, العلاقة مع الجنس الآخر بالنسبة له كانت تتسم بالوردية و الهدوء فأحلامه كانت تنحصر في إطار حفل الزفاف!!!!

نعم حفلة الزفاف, فأية فتاة كان يعجب بها "معتز" في فترة مراهقته من خلال دوائر حياته المحدودة مثل دائرة الأسرة أو دائرة النادي أو دائرة الدراسة "الدروس الخاصة أو مجموعات التقوية" كانت تجد طريقها في

حلمه الوردي هذا لتجلس علي يمينه علي تلك الأريكة البيضاء المرصعة بالورود مرتدية لثوب زفافها الأبيض البسيط و الأنيق في ذات الوقت لتبدو كأحد الملائكة و هو يجلس إلي يسارها ببدلته السوداء المُحكمة و شعره الأسود الناعم المصفف بعناية و مرتدياً لربطة عنقة فراشية الشكل ليبدو بجانبها كأحد نجوم السينما, ليقوما فيرقصا معاً علي أنغام الموسيقي الهادئة بدون أي إبتذال أو إسفاف لتنتهي هذه الرقصة بأن يضم "معتز" عروسه إلي صدره ليستشعر دفئها في جسده و قلبه و ينتهي الحلم هكذا في كل مرة.

ينتهي الحلم بتلك النهاية في كل مرة يتكرر بها بإستثناء عدة تغييرات بسيطة, كالبدلة التي يرتديها "معتز" أو نوع الأريكة و الزينة التي تحيط به هو و عروسه أو حتي بإختلاف عروسه نفسها !!!!, "معتز" لم يكن قد أحب فتاة بذاتها للدرجة التي تجعلها تتكرر في أحلامه لأكثر من مرة بإستثناء مرة أو إثنتين حدث فيها مثل هذا الحدث العظيم و الذي دائماً ما ينتهي بتجربة مريرة شديدة القسوة بالنسبة له.

أولي تلك التجارب كانت عندما كان "معتز" في الصف الثالث الإعدادي, و كان طالباً مجتهداً نابغاً في المدرسة بشهادة جميع مدرسيه, و كان يوجد تحت منزلهم أحد الأكشاك الخشبية التي تبيع الحلوي و السجائر و المياه الغازية, هذا الكشك الخشبي كان مملوكاً لرجل بسيط يدعي "عزام" و كان لهذا الرجل إبنة في مثل سن "معتز" تدعي "فرح" لكنها لم تكن

تذهب إلي المدرسة لضيق حال والدها لذا كانت من حين لآخر يراها تقوم بمساعدة والدها في البيع و الشراء في متجره الخشبي البسيط هذا, تلك الفتاة الصغيرة كانت علي قدر لا بأس به من الجمال ممتثلاً في أهدابها الطويلة السوداء التي تظلل علي عينين سوداواتين لم يري "معتز" لهما مثيل من قبل بالإضافة إلي هذا الشعر الكستنائي المموج الكثيف الذي يزين رأسها و قوامها الفارع الذي كان يسبق سنها فكانت تبدو كما لو كانت في العشرين من عمرها و ليست في الخامسة عشر كما هي الحقيقة.

لذلك فبمجرد أن رآها "معتز" لمرة الأولي و أصبحت "فرح" تمثل له فتاة أحلامه و أصبحت الزائرة اليومية لأحلام الزفاف الخاصة به, و لذلك حرص "معتز" علي أن ينتهز أي فرصة لكي يراها, فكم من المرات كان ينتظر وصولها إلي والدها في متجره و هو يرقبه من نافذة غرفته, حتي إذا ما أهلت "فرح" بقوامها الممشوق و خطواتها الرشيقة حتي ينتفض "معتز" من مرقبه و ينطلق من باب الشقة مخبراً والدته إنه سيذهب ليبتاع زجاجة من المياه الغازية ليشربها هروباً من شدة الحر و كان لا ينتظر حتي يسمع والدته و هي تخبره أنهم لديهم بالثلاجة من العصائر ما هو أفضل, ليصفع "معتز" باب المنزل من خلفه و ينطلق و هو يتخطي درجات السلم وثبا بدون أن ينتظر المصعد حتي يصل في أقل من دقيقة إلي مدخل المنزل حيث ينتظر للحظات ليلتقط أنفاسه و يقوم

بضبط هندامه أمام المرآة الكبيرة المعلقة علي الحائط في بهو المنزل حيث يقوم بتصفيف شعره الأسود الناعم بيده ويقوم بفتح الزرار العلوي في قميصه لتبرز منه تلك الشعيرات القليلات في صدره و التي صارت بالنسبة له عنواناً للرجولة التي أصبح علي مشارفها ثم يقوم بثني أكمام القميص بثنيات متتالية حتي يصيرا أقرب لكتفيه فتظهر ما بدأت زراعيه من حمله من عضلات وليدة كما إعتاد بعض من ممثلي الأفلام السينمائية القديمة أن يفعلوا لكنهم كانوا رجالاً و يحملون بالفعل العديد من العضلات التي كانت تستحق الإبراز, لكن هذه المقارنة لم تجُل بعقل "معتز" حتي إنتهي مما يفعله أمام المرآة ليتحسس الخمس جنيهات القابعة في جيب بنطاله و التي كانت بمثابة مصروفه الخاص للأسبوع الحالي بأكمله لينطلق إلي "فتاة زفاف أحلامه".

يصل "معتز" إلي ذلك الكشك الخشبي في التوقيت المناسب حيث أن هذا التوقيت لم يكن بمحض الصدفة لكنه كان نتاج أيام و أيام من المراقبة و التسجيل لجميع تحركات عم "عزام" والد "فرح", ليجده و قد إنصرف تاركاً "فرح" بفردها لكي يلحق بصلاة العصر في المسجد المجاور لمنزلهم تاركاً الطريق ممهداً أمام أحلام و طموحات "معتز", الذي إقترب من "فرح" بهدوء و هي تقوم بتنظيم و ترتيب بضع صناديق ورقية من التي يحفظ بها أكياس البطاطس المقلية, ليقوم بالتسلل في صمت حتي يصبح خلفها تاركاً ما يقرب من نصف المتر بينه و بينها حتي ليجد

عبيرها المنساب من بين خصلات شعرها المنسدل فوق كتفيها و قد تسلل ليحتل رئتاه بالكامل فيتنهد تنهيده عميقة و يتحدث بصوت هاديء محاولاً تغليظه ليبدو مثل صوت الرجال البالغين:

– صباح الخير... إزيك يا فرح ؟؟؟

لتنتفض "فرح" من المفاجأة حيث إنها لم تشعر بإقترابه مطلقاً لتثب في الهواء و هي تلتفت لتري من الذي قام بمفاجئها هكذا فيختل توازنها حتي تكاد أن تسقط أرضاً لولا أن إلتقطها "معتز" في اللحظة المناسبة لتستقر ما بين ذراعيه و تمكث من هول المفاجأة ما بين ذراعيه لثوان معدودة و هي تحدق به بعيونها السوداء و أهدابها الطويلة تلك التي قامت بأسر "معتز" في تلك الثوان فهو لم يري عينيها بهذا القرب من قبل و قام بدون أن يشعر بجذبها نحوه أكثر لتنتفض "فرح" في تلك اللحظة لتُبعده عنها و تدفعه بعيداً قائلةً له في عتاب لا يخلو من الدلال و إن حاولت التظاهر بالغضب:

– إيه يا أستاذ "معتز" حد يعمل كده ؟؟ ده إنت كنت حتموتني من الخضة !!!

– ألف بعد الشر عليك يا "فرح", و الله ما كنت أقصد بس إنتي إللي ما كنتيش حاسة بيه.

يقول "معتز" تلك العبارة و هو يقوم بالتركيز علي آخرها كما لو كان أن يقصد أن يُمرر معنيً أو مغزي ما في عقله لها لينحني أثناء ذلك و يقوم بإلتقاط تلك الصناديق التي تناثرت يميناً و يساراً جراء وثبة "فرح" محاولاً ترتيبهم و وضعهم في مكانهم الصحيح مرة أخري, فتمد "فرح" يدها لتلتقطهم من بين يديه لتتلامس أكفهم في جزء من الثانية لكنها كانت كافية لكي تسري تلك الكهرباء الصاعقة في جسد "معتز" ليتصلب في مكانه و "فرح" تلتقط الصناديق من بين يديه و تقول:

– عنك يا أستاذ "معتز" ما يصحش أنا حارجعهم زي ما كانوا .. بعد إذنك.

يقف "معتز" و هو لم يفق من تلك الصدمة الكهربائية التي سرت في جسده منذ لحظات ليظل محملقاً في "فرح" حتي إنتهت من ترتيب الصناديق لترجعهم إلي وضعهم السابق ثم تستدير إليه متسائلةً:

– أؤمر حضرتك ما قلتليش عايز إيه.

ليحاول "معتز" أن يتحدث بعدما أفقدته تلك الملامسة السريعة منذ لحظات توازنه و كما يبدوا أيضاً أفقدته القدرة علي النطق, فيحاول للحظات مرت عليه كما لو كانت سنوات أن يبحث داخل فمه الجاف كالصحراء عن أي كلمات يستطيع أن يتحدث بها قبل أن تخرج تلكما الكلمتان كما

لو كانا قطعتين من الصبار يمران في حلقه ليخرجا متقطعتين بصوت متحشرج:

– حاااااجة ســـ.....اقعة.

تطلق "فرح" ضحكة صغيرة جميلة نظراً لطريقته المتربكة تلك في التحدث و تقوم بالإستدارة و فتح باب الثلاجة الخاصة بالمياة الغازية و القابعة خلفها, و تقوم بالبحث بأناملها بين الزجاجات العديدة عن زجاجة تكون أكثرهم برودة ما بين رفيقاتها حتي تجدها فتلتقطها في خفة و تقوم بفتحها بأداة خاصة معلقة بخيط سميك بجوار نافذة الكشك الخشبي, و تعطيها له في رقة شديدة بعدما قامت بفتحها له مع حرصها أن يظل غطاء الزجاجة فوقها دون أن يسقط, لكن الغريب في الأمر إنها لم تسأله قبل أن تعطيه تلك الزجاجة عن ما إذا كان يرغب أن يحظي بنكهة معينة من المياة الغازية أم لا, لكنها لم تفعل, و لا تدري لماذا !! ربما كانت غريزة الأنثي في فرض سيطرتها علي ذكرها أو محاولةً منها لإختبار درجة هُيامه و عِشقه لها و اللذان كانا جليان في نظرات عينيه و التي قامتا بفضح أمره تماماً.

لكن الأغرب من ذلك أن "معتز" لم يعقب بالفعل عن ما إذا كان هناك نكهة أو مذاق مفضل لديه, حيث قام بفرد يده ليهِم بإلتقاط الزجاجة في صمت من يدها محاولاً أن يكرر ملامسته لها لكنها في خبث و دهاء لم

تعطه الفرصة حيث وضعت الزجاجة أمامها بسرعة ليلتقطها بعد ذلك دون أن تسنح له الفرصة لفعل ما يريد, تناول "معتز" الزجاجة المثلجة و التي كان لبرودتها الشديدة تأثير إيجابي في إنتشاله من حالة فقدان التركيز التي كاد أن يغرق بها تماماً لينتقل بعينيه ما بين "فرح" و التي كاد أن يعصف بها من كثرة تحديقه بها إلي الزجاجة المستكينة في راحة يده بقطرات المياه المتكثفة علي سطحها من شدة برودتها ليهمس محدثاً نفسه بصوت لا يكاد أن يُسمع:

– ياه دي ساقعة أوي.

– يا بختك يا أستاذ "معتز", كويس علشان الصهد إللي إحنا بقينا فيه.....

ردت "فرح" و هي تبتسم و تتناول جريدة قديمة كانت أمامها لتقوم بأرجحتها بيدها أمام وجهها, متضرعةً لها أن تجلب لها بعض النسمات من الهواء في ذلك القيظ الذي تحس به و تمسح بيدها الأخري قطرات العرق التي تتساقط منها, تلك القطرات التي أخذ "معتز" يراقب مسارها المبتل التي تخلفه ورائها و هي تشق طريقها بداية من جبين "فرح" الأبيض ماراً برقبتها المرمية تلك لتتواري بعد ذلك في عنق ثوبها, و بينما كان يرتشف "معتز" أول رشفة من الزجاجة لكي يقوم بترطيب تلك الصحراء الجافة التي يشعر بها تضرب جذورها في فمه و حلقه و حتي

يستطيع أن يخرج بعض الكلمات الأخري من فمه و إن خرجت هذه المرة بصورة أفضل من سابقتها قائلاً:

– طب ما تشربيلك واحدة إنتِ كمان و تروي عطشك و تهدي الصهد ده شوية.

– يا ريت !! ما أقدرش أبويا محرج عليا أمد إيدي علي أي حاجة في الكشك في غيابه.

تجيبه "فرح" و هي ما زالت تحرك تلك الجريدة القديمة أمام وجهها لتخرج منها بعض النسمات من الهواء محركةً لخصلات شعرها المسدل علي خديها في أقوي إستفزاز للقِلة الباقية المتبقية من ثبات أعصاب "معتز" و تماسكها ليقول لها في صوت أصبح أقرب لصوت الفحيح و ذلك من جراء النيران التي إستعرت في صدره:

– و لا يهمك, إفتحي واحدة و علي حسابي.

و بعد محاولات مُقنعة بالتعفف و الإستغناء من "فرح" للإعتذار عن قبول هذا العرض المثلج من "معتز" و التي هي في أمس الحاجة إليه الآن بسبب الحرارة الشديدة و بخل والدها الشديد المصاحب لهذا الحرارة و الذي يزيد من وطئة هذه الحرارة عليها, فتقوم "فرح" بتناول زجاجة مثلجة أخري من الثلاجة و تقوم بفتحها لكي تتناولها و هي بصحبة

"معتز" الذي قضي معظم العشر دقائق اللاتي تظاهر بالإحتياج لهم ليتناول تلك الزجاجة من المياة الغازية يتحدث عن نفسه و عن تفوقه في الدراسة و إستقامة أخلاقه و عدم وجود أي علاقات تربطه بأية فتيات أُخريات و كيف إنه ينتوي الإرتباط مبكراً برباط الزواج بمن سيحبها و تحبه هذا إن صادفها قريباً, فكان يبدو أثناء حديثه هذا كما لو كان يقوم بشرح مميزاته أمام أهل عروسه المنتظرة و كانت "فرح" تستمع له و هي تتظاهر بالإهتمام و هي تداعب إحدي خصلات شعرها المتدلية أمام عينيها و ترتشف جرعات متتالية من زجاجة المياة الغازية المجانية تلك التي في يدها.

فرغ "معتز" من الحديث عن نفسه في نفس الوقت الذي فرغت فيه الزجاجة من محتواها ليقف حائراً يبحث عما يقوله و عن سبب يبرر له إستمرار وقوفه مع "فرح" و عندما لم يجد قام بإعطائها الزجاجة الفارغة و دس يده في جيبه ليخرج منها الخمس جنيهات و عندما مد يده ليعطيها لها و أثناء تناولها لها منه قام "معتز" بحركة مفاجئة بأن أمسك بيدها المدودة إليه بكلتا يديه حيث أصبح يحتوي أناملها بين كفيه ليضغط عليها برفق و يجذبها تجاهه قائلاً لها و أنفاسه الساخنة تكاد تلهب وجهها من شدة حراراتها:

- "فرح" أنا بحبك و عايز أتجوزك.

– إنت إتجنيت سيب إيدي.

قالتها "فرح" و قد إستحال وجهها لخليط من الألوان يستحيل تمييز لون معين منه و هي تتلفت يميناً و يساراً محاولةً أن تجذب يدها في ذعر من بين يدي هذا المجنون الماثل أمامها, و التي لم تتصور أن دلالها عليه و المقصود بغرض أن تظفر منه بأي شيء مثلما ظفرت منه بهذه الزجاجة من المياة الغازية, قد يشجعُهُ علي الإتيان بمثل هذا التصرف الأحمق. لم يطل ذعرها كثيراً قبل أن يتحول هذا الذعر إلي هلع عندما رأت أبيها و هو يسارع الخطي تجاههما بعدما إنتهي من صلاته في المسجد و هي يرمق كل ما يحدث من شد و جذب بينها و بين هذا المجنون بعينين كاد اللون الأحمر بهما أن يستحيل إلي الأسود من شدة الغضب و الشر اللذان يتقافزان منهما, ليجد "معتز" نفسه قبل أن يجد تفسيراً للذعر و الهلع الشديدين الجليان في عيني محبوبته و قد جُذب من ياقة قميصه و تم إلقائه بعيداً عن نافذة العشق التي كان يتدلي منها ليهوي إلي قارعة الطريق و يجد والد "فرح" عم "عزام" و هو يصيح فيه بصوت هادر يشبه هزيم الرعد:

– إنت كنت بتعمل إيه يا جبان مع البت ؟ رد يا حيوان .....

قال له سِبته الأخيرة و قدمه اليمني تغوص في معدة "معتز" لتعتصر جميع أعضائه الداخلية لكي تخرج ما فيها من هواء فخرج من فمه و

أذنيه و أنفه بصوت صفير حاد, مصاحباً لتقلص "معتز" علي نفسه من شدة الألم ليتلوي أرضاً حتي يقوم عم "عزام" بجذبه من شعر رأسه ليجبره علي الوقوف أمامه صارخاً فيه من جديد بأن يجيبه علي سؤاله السابق قبل أن يقوم يقتله و يقتل تلك البنت الفاجرة. فتصرخ "فرح" بأنه ليس لها شأن بالأمر و أخذت تقص لوالدها كيف بدأ "معتز" في التحرش بها منذ إنصرافه عنها مستغلاً غيابه و كيف إنها حاولت صده مع محاولة الإحتفاظ به كعميل لهما و لكنها فوجئت به في نهاية الأمر و هو يمسك بيدها علي حين غُرة بدون رغبتها و ينفك يقول لها هذه التُرهات عن حقيقة حبه لها و إنه يرغب في الزواج منها.

يستدير والدها ليرمق ذلك الفتي الذي ما زال معلقاً من شعره في يده و قد إستحال لون والدها إلي اللون الأزرق من الغضب بينما دموع "معتز" التي أخذت تسيل كالأنهار علي وجهه لكي تزيح في طريقها كل علامات الرجولة التي كان يحاول وسمها علي نفسه منذ بداية الأمر أمام محبوبته أو من كان يظن إنها محبوبته, ليتطلع والدها إلي وجهه غير عالم ماذا سيفعل بهذا الطفل الباكي, حتي يقرر في نهاية الأمر أن يبلغ والديه بما حدث ليلقناه درساً في الأخلاق و الأدب و كيفية إحترام بنات الآخرين و أن يتوعده أمامهم إن عاد لمثل هذه الفعلة الشنعاء أن يقتله و يمثل بجثته في الطريق أمام الناس جميعاً.

لتنتهي هذه المغامرة الأولي من نوعها لفتانا "معتز" بهذه النهاية الأليمة و قد تناول فاصلاً من الضرب المبرح من والده جزاءاً علي خطأه الفادح و علي إنه قد جعل من هم في مثل قيمة "عزام" يتجرءون عليهم, ليمضي "معتز" بعد ذلك العقاب أسبوعاً محبوساً في منفاه الإجباري داخل غرفته محروماً من ممارسة أي نشاطات داخل المنزل أو خارجه بالطبع سوي الأكل و الإستذكار, ليطوي "معتز" تلك الصفحة من حياته غير قادراً علي إيقاف أحلام زفافه تلك من أن تؤرق نومه لكنها قد خلت من "فرح" و للأبد.

ينتهي "معتز" من ذكراه الأولي تلك و هو ما زال يتململ في جلسته ذاتها بجوار والديه في غرفة الصالون تلك التي تنم عن ذوق رفيع و أصالة عميقة كما قلنا من قبل و التي تغير المشهد بها قليلاً لينضم لهم في إنتظارهم هذا والد العروس المُنتظرة و الذي أخذ يشرح لهم عميق إمتنانه لزيارتهم لهم و إنه قد نما إلي علمه كم هي ملتزمة عائلتهم تلك, و كيف إنهم مشهود لهم بحسن الخلق و طيبة المعشر من جيرانهم و أصدقائهم و منهم صديقة إبنته عندما كانوا زملاء بالجامعة و التي تمت لعائلتهم بصلة قرابة وثيقة لتجعل كلمة الجامعة "معتز" يثب مرة أخري في بحر الذكريات المتلاطم لعله يجد فيها ما يسليه و يهون عليه دقائق الإنتظار تلك حتي تظهر تلك العروس المتأخرة.

رجع "معتز" بذاكرته إلي الوراء لعدة سنوات حيث كانت قد مضت عدة سنوات علي حادثته الأولي الشهيرة مع "فرح" و علي سبيل الدقة بعدها بخمس سنوات عندما كان في عامه الثاني بالجامعة و بالأخص في كلية التجارة قسم اللغة الإنجليزية, ذلك القسم و الكلية الذان كانا أقل بكثير مما كان ينتظر والداه منه أن يلتحق بمثلها و بالأخص بعدما حصل علي تلك الدرجات المرتفعة في الثانوية العامة تلك الدرجات التي كانت تؤهله للإلتحاق بأية كلية من الكليات التي يطلق عليها "كليات القمة" لكن ولع "معتز" الثاني إلي جانب ولعه الأول بحفل زفافه كان هو السبب الرئيسي لإلتحاقة بتلك الكلية , فهذا الولع الثاني هو الأرقام. الأرقام كانت عشقه الأكبر ما بين جميع دراساته, ليست العمليات أو المعادلات التي تتضمن الأرقام فحسب بل و الأرقام ذاتها فهو يعشق الأرقام بشكل يكاد أن يكون مَرضِي, لذا كانت كلية التجارة قسم اللغة الإنجليزية هو إختياره الأول و الأخير, حيث إلتحق بها و أبدي تفوقاً ملحوظاً فيها منذ اليوم الأول, مما جعله محط جميع الأنظار في دفعته و يمر العام الأول من الجامعة بدون أية أحداث تذكر اللهم إلا تفوقه و حصوله علي تقدير إمتياز مع مرتبة الشرف مع كونه الأول علي رفقائه كما كان متوقعاً لديهم جميعاً.

يمضي "معتز" عامه الأول بالجامعة بدون المرور أو محاولة التعثر في علاقات مع زميلاته من فكما كان جلياً فإن تجربته الأولي المريرة مع "فرح" و التي كشفت له كيف أن معظم من هم علي شاكلتها من البنات

فائقي الجمال و متفجري الأنوثة يقومون بنصب شبائكهم حول أمثاله من االشباب الغر الساذج من أجل تحقيق مطامح شخصية لهم و تكون النهاية دائماً بسقوط أمثاله من السذج في تلك الشباك ليكونوا مجرد سُلم لتحقيق مبتغاهم لذا نأي "معتز" بنفسه عن الفتيات و عن تلك الهراءات المتداولة بين الشباب عن الحب في عامهم الأول من الجامعة, حيث يكون واقع الإختلاط بين الفتيان و الفتيات غير ممهد بتجارب سابقة فتبدأ قصص الحب و العشق الخيالية الساذجة و التي سرعان ما تنتهي و تذوب فور تعرضها لوهج الحياة الحقيقي و وهج أسواط الأباء عندما يكتشفون تلك القصص الخفية التي تحاك من وراء ظهورهم.

يبدأ "معتز" العام الثاني من دراسته الجامعية و بينما هو في أسبوعه الأول منه و عندما كان جالساً علي إحدي المقاعد الخشبية في حديقة الجامعة يطالع أحد المراجع المهمة و الذي كان قد إبتاعه للتو, إذ رأي أمامه ساقين أنثويتين رقيقتين نحيلتين ينتهيان بحذاء أسود لامع براق و صاحب ظهور تلك الساقين صوت رقيق يهمس في رقة بالغة تشوبها بعض الرجفة و الإرتعاش كما لو كان ناطقهم لم يتحدث مع أحد من قبل فيقول :

– صباح الخير, ممكن أسألك علي حاجة لو سمحت ؟

لينتهي هذا السؤال بسعال رقيق متقطع ليرفع "معتز" عيناه ليري أمامه أدق مثال للرقة و الهشاشة من الممكن أن يراه في بشر, ماثلاً أمامه في تلك الفتاة الرقيقة متوسطة الطول نحيفة القوام بيضاء البشرة ذات الشعر الأسود القصير و الأنف و الفم الدقيقان اللذان يرقدان أسفل عينان خضراوتين واسعتين يترقرقان ببريق غريب كما لو كانت صاحبتهما علي وشك البكاء.

يلبث "معتز" واجماً أمام تلك الرقة المجسدة أمامه لتقفز صورة تلك الفتاة إلي عقله علي الفور و يقوم بإلباسها فستان الزفاف الأبيض و واضعاً لتاجاً ألماسيا رقيقاً يلائم رقتها كل الملائمة فوق رأسها الرقيق و يقوم بإجلاسها إلي جواره في حفل الزفاف ذلك الذي بدأت طقوسه و موسيقاه تدوي في عقل "معتز" و تبدأ في إبتلاعه, لولا أن إمتدت يد تلك الفتاة متمثلةً في سعالها الرقيق المتقطع مرة أخري لتنتشله من ذلك الحلم اليقظي و تعقب ذلك السعال بقولها:

– لو سمحت, لو سمحت .. حضرتك مابتردش عليا ليه ؟؟؟؟؟

فيستيقظ "معتز" من حلمه المباغت و يجيبها في سرعة:

– أنا أسف, إتفضلي, أقدر أساعدك إزاي ؟؟

– أنا لسة جديدة في الكلية و النهاردة أول يوم و مش عارفة أروح فين و لا أجي منين و معرفش حد هنا ممكن تساعدني ؟

– طبعاً, طبعاً ممكن ... قالها "معتز" و هو ينتفض قائماً من جلسته ليمد لها يده مصافحاً و هو يكمل عبارته السابقة بقوله:

– أنا "معتز سعيد" طالب في سنة تانية تجارة إنجليش و إنتي ؟؟؟

لتتلقي تلك الفتاة الرقيقة يده بين أناملها الرقيقة و تصافحه في رقة بالغة كادت أن تقتله و هو يحاول أن لا يهشم أناملها الزجاجية تلك و شبح إبتسامة خجول قد بدت تتراقص علي شفتيها و هي تقول :

– و أنا "ريهام" ... "ريهام محسن" تجارة إنجليش برضه بس سنة أولي.

– فرصة سعيدة يا "ريهام"..... قالها "معتز" و ما زالت أصابعه تحتضن في رقة بالغة أناملها الزجاجية تلك.

– أنا أسعد يا أستاذ "معتز.

ردت عليه "ريهام" و قد بدأت بشرتها البيضاء الشاحبة قليلاً في التخضب بحمرة الخجل من أجل عناق أصابعهم الأول و الذي إستغرق وقتاً أطول مما ينبغي لتنسل أصابعها من بين يديه في خجل و إرتباك تاركةً إياها ما تزال ممدودة في لهفة. تحرك "معتز" معها علي الفور

ليأخذها إلي حيث يتم تعليق جداول المحاضرات حيث يقوم بنسخها لها بيده و بعد ذلك يقوم بإصطحابها في جولة سريعة في أرجاء الكلية و يقوم بتقديمها إلي من يصادفهم في طريقهم من الأساتذة بالأقسام المختلفة في الكلية مقدماً إياها لهم بصفتها إبنة خالته و مادحاً كيف إنها تفوقه ذكاءاً و إجتهاداً, الأمر الذي تقبله هؤلاء الأساتذة بالحفاوة و السرور و التشجيع علي مزيد من الإجتهاد و التفوق لها بكليتهم لما عرفوه مسبقاً عن إجتهاد و تفوق و نبوغ "معتز".

إنتهي هذا اليوم و قد تربعت "ريهام" علي عرش مملكة أحلام "معتز" لتكون هي عروس حلم كل ليلة من ليالي "معتز" منذ ذلك الحين و لفترة لم يكن يعلمها إلا الله, فهي قد قابلت إهتمام "معتز" الزائد بها منذ اليوم الأول بإهتمام زائد أيضاً في المقابل, فلم تستطع أن تخفي إعجابها الشديد بهذا الشاب المتفوق المهذب الخدوم و الذي قام بمساعدتها بهذا الحماس و الإخلاص الشديد في أن تقوم بالتعرف علي عالم الجامعة المجهول بالنسبة لها دون أن يكون بينهما أية معرفة سابقة, بل وساعدها علي أن تخطو أولي خطواتها داخل هذا العالم الجامعي التي كانت تحمل له في صدرها و عقلها جليل الخوف و الرهبة, فهي الفتاة الخجولة و التي توفي والدها منذ سنوات كثيرة تعجز عن حصرها و عن تذكره هو شخصياً لتقوم والدتها بالقيام علي تربيتها و إنشائها هي و أختها الصغري تربية متشددة لكنها لا تخلوا من الحنو و العطف في ذات الوقت لتثمر تلك

النشأة هذه الفتاة "ريهام", هذه الفتاة الذكية الرقيقة الخجول الجميلة الخائفة دائماً من خوض غمار أي تجربةٍ جديدة عليها خارج نطاق حدود نشأتها الضيقة.

لكن "ريهام" في يومها الأول هذا بالجامعة إستطاعت أن تضرب أول مِعول هدم في جدار خوفها بتقدمها نحو "معتز" كما حدث في بداية هذا اليوم و نحوه هو بالذات دون غيره من الأخرين بالرغم من أن حرم الجامعة كان يذخر بالعديد و العديد من الشابات و الفتيات ممن هم في مثل سنها, لكن تقدمها نحو "معتز" و سؤاله عن ما تريد دون غيره كان لعدة أسباب, أولها رغبتها في كسر حاجز الخوف من الآخرين هذا الحاجز الذي قامت والدتها بزرع أساساته في روحها و عقلها طوال السنون الأولي لنشأتها, ثانيها هو إحساسها بإنجذاب غير مبرر تجاه هذا الشاب منذ اللحظة الأولي التي وقعت عيناها عليه فيها, ربما لما توسمت فيه من الأخلاق و الذكاء و اللذان كانا واضحان و جليان في إنغماسه في مطالعة الكتاب الذي كان بين يديه حتي إنه لم يرها مقبلةً نحوه إلا عندما تحدثت إليه, هذا علي النقيض تماماً من رفقائه من الشباب بالجامعة و الذين كانوا يقضون معظم أوقاتهم في محاولاتهم السمجة و السخيفة في التعرف و التحدث إلي الوافدات الجدد من زميلاتها من الفتيات و هو ما صادفته عدة مرات في ذلك منذ أن وطأت بقدميها حرم الجامعة و حتي إلتقت بـــ "معتز".

لذلك كان من البديهي و الطبيعي ما بين إفتتان "معتز" الشديد برقة "ريهام" و جمالها الهادئ الأخاذ و إعجاب "ريهام" هي الأخري برجولته و ذكائه, أن يحدث بينهم هذا الإنجذاب الشديد الذي قام في باديء الأمر بالربط بينهما بخيوط رقيقة منذ يومهم الأول ليأخذ بعد ذلك في إضافة العديد من تلك الخيوط الرقيقة إلي هذا الإنجذاب يوماً بعد يوم لتترابط تلك الخيوط الرفيعة و تغزل فيما بينها هذه الحبائل القوية من المشاعر و الأحاسيس الفياضة طوال السنوات التالية التي جمعت بينهما و بين حبهم الوليد بين أسوار الجامعة ليظل حبهم هذا حبيس تلك الأسوار لا يستطيع أن يثب فوقها و لا يتخلله سوي لحظات معدودة من أحلام الحرية عندما كان يجلس العاشقان معاً يتشابكان الأنامل ليختلسا تلك اللحظات من الحب و العشق.

تمر السنوات سريعاً ليصل "معتز" إلي السنة النهائية بالجامعة و تكمن خلفه بعام "ريهام" في الفرقة الثالثة و يبدأ مع وصوله للسنة النهائية بالجامعة تسرب للقلق و الإضطراب إلي تفكير كلاهما ليعكر صفو حبهم النقي و تنتشر الهواجس المضطربة في قلوبهم فها هي أيام معدودة تفصل بينهم و بين إنتهاء "معتز" من دراسته لتعلن بذلك أن الأيام التي كانت تجمعهم سوياً داخل أسوار الجامعة قد أوشكت علي النفاذ, فحتي لو إستطاع "معتز" أن يلتحق بطاقم التدريس بالجامعة و هو الأمر شبه المؤكد لتفوقه المستمر طوال سنوات دراسته لكن ستظل المشكلة قائمة

حيث أن "ريهام" سيتبقي لها عام واحد بعد إنتهاء "معتز" من دراسته لتنهي هي الأخري دراستها و يصير بذلك لقائهم داخل أو خارج أسوار الجامعة مستحيلاً نظراً لما تفرضه والدة "ريهام" من قيود و ضوابط علي إبنتيها و بالأخص فيما يتعلق بالخروج من المنزل خوفاً من والدتها علي إبنتيها من هذا العالم الخارجي الذي لا تري فيه سوي مجموعة من الذئاب و الوحوش الراغبين في إفتراس قطتيها الوديعتين.

لذا إتخذا الحبيبان قرارهما المصيري بعد تفكير عميق بإنه لا مفر أمامهم سوي أن يتقدم "معتز" لوالدتها ليقوم بتتويج حبهم المتأصل في قلوبهم بتاج من الشرعية و المسئولية الأخلاقية بأن يقوم بخطبتها في الوقت الحالي علي أن يتم تحديد موعد تحقيق حلمه القديم في الزفاف بعدما أن ينتهي الإثنان من دراستهما, و لعل "معتز" يستطيع في ذلك العام ما بين تخرجه و تخرج "ريهام" أن يظفر بعمل ما يعينه علي أن يكفل لمحبوبته الحياة الكريمة التي تستحقها.

أخذت "ريهام" علي عاتقها المهمة الأولي لتحقيق حلمها في الإرتباط بفارس أحلامها و هي مهمة ليست بالبسيطة أو السهلة تلك المهمة التي تتلخص في أن تقنع والدتها بأن هناك زميل لها بالجامعة يرغب في مقابلتها بصورة ودية لكي يتحدث معها في أمر ما يخصهما, لكن الغريب في الأمر إنه عندما شرعت "ريهام" في تنفيذ تلك المهمة الصعبة إن لم تكن المستحيلة وجدت من والدتها قبولاً سريعاً بعقد اللقاء المنشود و لم

تبدي أي إعتراض أو تذمر من الموضوع بل علي النقيض تماماً فقد طلبت من طفلتها أن ترتب لهذا اللقاء لكي يتم في أقرب وقت ممكن.

تلك الموافقة الفورية و السريعة من والدة "ريهام" ألقت بالكثير و الكثير من ظلال الشك و أشباح الهواجس علي عقلي و قلبي الشابين العاشقين, فهذا التصرف الهاديء من والدتها كان غير متوقع و غير مفهوم لكلاهما, لكن لم يكن أمام القلبين الشابين النابضين بالحب أية حلول أخري سوي القيام بتلك المواجهة الحتمية و الصعبة و التي عليهما أن يتحملا عواقبها مهما كانت في سبيل الحفاظ علي حبهم.

و في اليوم المعهود قامت "ريهام" بمساعدة أختها الصغري و تحت إشراف والدتيهما بتنظيف المنزل و إعداده لإستقبال هذا الحدث العظيم, كما أصرت "ريهام" علي أن تقوم هي بإختيار ما سترتدياه والدتها و إختها من الملابس الملائمة لتلك المناسبة الخاصة, هذا الأمر الذي قابته والدتها بالإعتراض و التذمر متعللة بإنه لا داعي لكل تلك التجهيزات و الإعدادات لا سيما و أن الضيف المنتظر أبلغهم إنه سيحضر منفرداً دون والديه ليقوم بتلك المقابلة التمهيدية علي أن يحضر والديه معه في المرة القادمة إن شاء الله عندما يحظي بالموافقة المبدأية من والدة "ريهام".

في نفس الوقت الذي كانت أجراس الساعة تدق فيه معلنةً إنها قد أصبحت السابعة مساءاً كان "معتز" يطرق باب منزل عائلة "ريهام" و لم

ينتظر كثيراً حتي وجد من يجيب طرقه, لينفتح الباب و يجد خلفه تلك النسخة المصغرة من عروسه وهي تبتسم إبتسامة عريضة لتقول له:

– إنت "معتز" عريس "ريهام" صح ؟؟؟؟؟

– صح, و إنتِ "زينة" شوفتِ أنا عرفتك عالطول إزاي. ده إنتِ نسخة من "ريهام" .

يجيبها "معتز" و هو يعطي لها ما يحمله من باقة الورد الجميلة و علبة الشوكولاتة الراقية, الأمر الذي إضطره لأقتطاع جزء غير يسير من مدخراته لشرائهم لكنه لم يعبأ فهاهو علي مشارف تحقيق حلمه العنيد الذي ظل يؤرق فراشه طوال السنوات الفائتة.

– لا ياعم إنت بتبالغ "ريهام" أحلي مني بكتير, إتفضل إتفضل ماما مستنياك.

قالتها "زينة" الأخت الصغري لـــ "ريهام" و هي تتناول منه باقة الورد لتشتشقها بعمق و سرور و تقوم بتناول علبة الشيكولاتة أيضاً و هي تفسح الطريق أمام "معتز" ليدلف إلي المنزل الذي لم يره من قبل لكنه كان يعلم أدق تفاصيله من كثرة ما روت له "ريهام" عنه حتي إنه ليجد نفسه يكاد أن يتجه بمفرده إلي غرفة الصالون متلهفاً دون أن ينتظر أن ترافقه "زينة" لكنه سريعاً ما تراجع عن لهفته تلك حتي لا يتخطي أصول

و أداب اللياقة, فإنتظر حتي قامت "زينة" بإغلاق الباب من خلفه و تقدمته ليتجها إلي حيث تنتظره من بيدها مفتاح السعادة لحياته المقبلة.

كان إستقبال والدة "ريهام" لـــ"معتز" فاتراً علي العكس مما كان متوقع نظراً لما وجده من قبول منها في عقد هذا اللقاء لكن نظراتها له منذ اللحظة الأولي عندما دلف إليها في غرفة الصالون كانت تتسم بالبرود الشديد كما لو كانت عيناها قد صنعت من الزجاج هذا الأمر الذي ألقي بكثير من القلق و التوتر في قلب "معتز" ليخرج منه علي هيئة شلالات من العرق الذي ندي به جبينه حتي إبتلت ياقة قميصه تماماً و كان توتره أيضاً جلياً في تلعثمه في الكلام و هو يوضح لها كيف و كم يحب إبنتها كثيراً و إنه علي إستعداد لفعل المستحيل من أجل إسعادها, لكن كل هذا التعرق و التلعثم و التوتر كان وتيرته تزيد نتيجةً لصمت والدتها البالغ و هي تستمع إليه في برود متناهي كما لو كانت الحياة قد إنسحبت من جسدها تاركة لها زفرات بسيطة من الأنفاس تخرجها من الحين للآخر مع بريق يومض في عينيها الزجاجيتين كلما رأت تلعثم "معتز" الآخذ في الإزدياد.

إنتظرت والدة "ريهام" حتي فرغ "معتز" من حديثه بالكامل دون أن تقاطعه نهائياً تاركة إياه ليغرق في بحر من العرق و التوتر كما لو كان أرنباً أعمي يتجول في الغابة علي غير هدي في عتمة الليل لينتهي به الأمر بين مخالب أسد نائم ليقوم هذا الأسد من نومه ليتملمظ بشفتيه علي

هذه الوجبة المجانية السهلة التي ألقاها له الله بين براثنه, و تأكد هذا الشعور الإفتراسي لدي "معتز" عندما إعتدلت والدة " ريهام" في جلستها اللامبالية التي كانت تتخذها منذ بداية اللقاء و حتي إنتهي من حديثه لتميل عليه و تتحدث له بصوت عميق كما لو كان صوتها يخرج من أعمق أبار الأرض لتنهي بنبرة صوتها تلك المقاومة الباقية و الثبات الذي كان يتظاهر به "معتز" ليصبح علي إستعداد علي الفرار في أية لحظة من أمام تلك السيدة ذات الشخصية الكاسحة:

– خلصت كلامك يا أستاذ "معتز".

– أيي....يوه يا أفندم أنا تحت أمر.....رك و بعدين ما فيش داعي للألقاب دي يـــ....يا أفندم ده أنا في سن بنتك ... تقريباً .

رد "معتز" و هو يحاول أن يجمع شتات نفسه ليتظاهر مرة أخري بالثبات لتعصف والدة "ريهام" بهذا التظاهر في لحظة واحدة عندما ردت عليه قائلة:

– ما هي دي المشكلة ...

– مشكلة إيه يا أفندم ؟؟؟ .....

أخرج "معتز" تلك الكلمات و تكاد روحه أن تغادر جسده مع حرف الميم في كلمة "أفندم".

– لو سمحت ما تقاطعنيش أنا سيبتك تتكلم لغاية ماخلصت إنت كلامك بالكامل و أكدتلي إنت علي كده, سيبني بقي أقولك علي إللي عندي بسرعة علشان ما نضيعش وقتنا.....

ترد والدة ريهام بهذه الكلمات و هي تشير له بكف يدها لكي لا يقاطعها, تلتقط تلك السيدة القوية أنفاسها في عمق كما لو كانت علي وشك خوض قتال عنيف و تبدأ في سرد قصة حياتها و كفاحها مع طفلتيها من بعد أن توفي والدهما بعد أن تركهما لها طفلتين صغيرتان لا حول ولا قوة لهما, إحداهما لا تتعدي الأربع سنوات و الأخري طفلة رضيعة, و كيف وقفت هي بفردها في وجه كل من حاول إقناعها أو إجبارها علي أن تتزوج مرة أخري لكي تجد من تستطيع أن يساعدها في إعالة و تربية هاتين الطفلتين, لكنها أبت دون ذلك خوفاً من أن تجلب لطفلتيها رجلاً غريباً عنهم في المنزل و ربما يقسوا عليهم أو يُهملهم, لذلك أخذت علي عاتقها هذا العبء الثقيل منفردةً و كيف إنها لم تنهار تحت وطئته بل إزدادت صلابة مع مرور الوقت لتنشأ طفلتيها أفضل نشأة و تؤمن لهم بإذن الله أفضل مستقبل.

إبتلع "معتز" تلك الغصة التي مكثت في حلقه منذ بداية حديث والدة "ريهام" و قد أخذ عقله يوسوس له ماذا تعني بسردها له لتلك القصة و أي إتفاق هذا الذي سيعقب مثل تلك المقدمة الطويلة, فيحاول "معتز" أن يقاطعها مستغلاً توقفها عن السرد للحظات لتستبدل أنفاسها التي أحرقتها

في رواية قصة كفاحها مع طفلتيها بأنفاس أخري جديدة تعينها علي إستكمال حديثها, ليعلمها "معتز" إنه علي دراية كاملة بكل ما تقصه عليه من أحداث و ماضي لها و لبنتيها لكنه لا يدري ما علاقة كل هذا به و بطلبه الإرتباط بـــ "ريهام".

فتخبره تلك المرأة الحديدية بإنه وثيق الصلة فكيف ينتظر منها هي التي إجتهدت و بذلت الكثير و الكثير من أجل أن تجعل من طفلتيها ما أصبحا عليه الأن من شابتين حسنتي الخلق و متفوقتان و لديهما الكثير من الذكاء لتعطيهما لأول من يطرق بابهم طالباً أيا منهم للزواج و ليس لديه أية إمكانات تذكر بل و لم يستطع تحديد مستقبله بعد؟؟؟ هل يعقل هذا ؟؟؟؟

للحظات خيم الصمت علي المكان و إستقامت والدة "ريهام" في جلستها لتعود بظهرها لتستند به علي ظهر المقعد الذي تجلس عليه متكئة بيديها الإثنتين علي جانبي مقعدها كما لو كانت جنرال حربي يتفقد خسائر أعدائه في الحرب بعد ما منيوا منه بهزيمة نكراء, و أخذت تتأمل هذا الشاب اليافع الجالس و قد طأطأ برأسه أرضاً محدقاً في الأرض عاجزاً عن التفوه بأي شيء محاولاً أن يغالب دموعه فلا تصرعه و تنهمر بالرغم عنه مهدرةً ما تبقي من كرامته, و قد أصبحت الرؤية أمامه معتمةً تماماً نظراً لتلك السِتارة السوداء التي أسدلها عقله أمام عينيه لعله

لا يري أشلاء أحلامه و أمنياته و حبه و قد تناثرت أمامه بعدما ألقت والدة "ريهام" بقنبلتها من الحقيقة القاسية ناسفةً إياها و ممزقاها إرباً.

كان "معتز" في تلك اللحظة قد فقد الإحساس بكل ما حوله حتي إنه كان يظن أن مقعده الذي يجلس عليه قد تحول إلي ثقب أسود عملاق قادر علي إبتلاع عوالم بأكلمها و هاهو يبتلعه و ينقله إلي منطقة اللاعدم حيث لا ضوء و لا صوت و لا رائحة و لا إحساس لا شيء, لا شيء علي الإطلاق, فكان يهيء لوالدة "ريهام" و هي تنظر إليه من قمة وضعها المنتصر إنه يغوص أكثر فأكثر في مقعده و للحظات تسللت بعض مشاعر الشفقة و الحنو من قاع قلبها البارد لتطفو علي السطح فتعود و تميل في جلستها علي "معتز" و تبدأ في محاولة مواساته بأن تعلمه بأنها تعلم جيداً كم هو شاب مهذب و دمث الأخلاق و متفوق و لكنه للأسف لا يملك في الوقت الحالي من الإمكانات المادية و المستقبل الواضح الخُطي ما ترغب في توافره في زوج إبنتها ذلك بالطبع إلي جانب الصفات الأخري الواجب توافرها في هذا الزوج من طيبة المنشأ و سلامة الخلق و التي هي واثقة أشد الثقة إنه يحوز تلك الصفات الأخري المطلوبة و لكنها للأسف لا تكفي بمفردها في وقتنا الحالي بدون المستقبل الواضح و المال.

لملم "معتز" شتات نفسه قليلاً بقدر المستطاع, القدر الذي أمكنه من أن يرفع رأسه لينظر إلي باب الغرفة حيث كانت "ريهام" تتواري خلفه

لتسمع مايحدث و من موقعه هذا كان "معتز" يري بقلبه دموعها التي صارت ملئ عينيها و قلبها و عقلها, ما رآه "معتز" بقلبه في تلك اللحظة كان له عظيم الأثر حيث قد شجع إحساسه بدمع "ريهام" قطرتان من الدمع في عينيه كانتا قد يأستا من الخروج من عينيه ليتحررا فجاة بالرغم من إرادة سجانهما القوية ليقفزا فرحتين بحرتيهما تلك ليستقرا علي بنطاله الأسود, و في ذات اللحظة التي تلاشت فيها فرحة هاتين القطرتين من الدمع المتساقطتين بحريتهما بعدما صارا حبيستان أنسجة قماش بنطاله حيث لم يبقي من أثرهما سوي بقعتين صغيرتين ممبتلتين علي البنطال, ينتفض "معتز" واقفاً و يتحدث معتذراً لوالدة "ريهام" عن ما إذا كان قد تسبب لها في أي إزعاج أو إحراج.

تمد والدة "ريهام" يدها و قد إنتصبت واقفة هي الأخري لتخبره إنها قد سعدت للقائه و إن كانت لتتمني أن يتم هذا اللقاء في ظرف أفضل, و تؤكد أن مسألة الزواج تلك أمر متعلق بالمقادير و إرادة الله و لعل الله يدخر له زيجة و زوجة أفضل من إبنتها, ذلك عندما تكون ظروفه أيضاً أكثر ملائمة, يبتلع "معتز" تلك الكلمات التي ظاهرها نعومة و رقة المواساة لكنها تحمل في باطنها من أشواك القسوة ما يكفي يأن يجعل كلاً من حلقه و روحه ينزفان للأبد, و بينما يتجهان إلي خارج الغرفة يسمع كلاهما حفيف خفيف يصاحبه صوت أنين مكتوم يعقبه صوت خطوات سريعة متلاحقة ليعرف كلاهما إن "ريهام" قد إنتهت من سماع حديثهما و

إنطلقت من مخبأها حيث كانت تتواري خلف باب الغرفة لتتوجه إلي غرفتها و تقوم بدفن رأسها في وساداتها مصطحبة معها دموعها و حزنها و تغيب عما حولها حتي عن أختها التي أخذت تربت علي ظهرها محاولة في يأس أن تواسيها علي مصابها.

لم تنسي والدة "ريهام" و هي تصطحب "معتز" إلي باب الشقة أن تؤكد عليه إنها تثق في أخلاقه و رصانة عقله و إنه سيتقبل رفضها له و أسبابها و إنه سيكون حريصاً علي أن لا يتصرف مع إبنتها أي تصرف طائش كما يحدث في القصص و الروايات, بل عليه أيضاً أن يعدها إنه لن يحاول أن يقابل إبنتها مرة أخري و أن الأيام كفيله بمداواة جرح إبنتها و حزنها علي حبها الأول أما بالنسبة له و لجروحه فعليه أن يداويها بمفرده بعيداً عنهما. أومئ "معتز" برأسه أن وافق علي ما طُلب منه و أدار لها ظهره و هو يخطو خارج منزلهم و تغلق والدة "ريهام" الباب خلفه لتغلق الباب علي حلمه الشاب الذي كان يتقد حباً.

إنصرف "معتز" في ذلك اليوم و قد تلاشت أحلامه و أماله في أن تكون "ريهام" هي فتاة زفاف أحلامه, إنصرفت بلا رجعة و قد عقد "معتز" العزم أن لا يعود أبداً إلي التفكير في أمر الزواج مرة أخري فيكفيه التجربتين المريرتين اللاتي مر بهما حتي الآن. و بذلك الموقف يتناسي "معتز" أحلامه و ينكب علي كتبه لكي ينهي العام المتبقي لديه بالجامعة محافظاً علي الوعد الذي قطعه علي نفسه لوالدة "ريهام" بأن لا يقابل

إبنتها و لو بمحض الصدفة, فينتهي العام و قد أنهاه "معتز" بتفوقه المعتاد و إن لم يكن في هذا العام بمستوي تفوقه في سبيقاته من الأعوام و إن ظل تفوقاً بالرغم من كل ما عايشه من أحزان طوال هذا العام. بل كان هذا التفوق أكثر من كافي ليكفل له الفرصة بالإلتحاق بالعمل بالجامعة كمدرس, هذه الفرصة التي تخلي عنها "معتز" لمن يليه في الترتيب في دفعته وسط تساؤل و إندهاش من كل من يحيطون به من زملاء و أصدقاء و إن كان هذا التساؤل و الإندهاش كان قد بلغ القمة لدي والديه إلا أن الجميع لم يجد لدي "معتز" أية إجابة شافية عما فعله من تخليه عن تلك الفرصة الذهبية سوي رغبته في أن يجرب الحياة العملية خارج أسوار الجامعة و التي لا يري داخلها سوي مستقبل محدود و غير كافي لتحقيق طموحاته التي لا يمكن لأحد أن يعلم ما هي منذ البداية و كيف أصبحت في النهاية.

لكن تلك التطلعات و الطموحات أسفرت عن وجهها بسرعة عندما ظهر سباق و لهاث "معتز" حول أي فرصة عمل في أي مصرف من تلك المصارف الأجنبية التي يعج بها الخليج العربي و التي يعرف عنها ما تعطيه من أجور خرافية و إمتيازات للعاملين بها مقارنة بجميع المصارف المصرية أو حتي المصارف الأجنبية التي لها أفرع بمصر, لينطلق "معتز" ليشغل أول وظيفة شاغرة يجدها أثناء بحثه المحموم عن عمل في تلك المصارف مستغلاً تفوقه البالغ في دراسته و في إتقانه للغة

الإنجليزية و قليل من الفرنسية أيضاً إلي جانب تلك التوصيات التي حظي بها من أساتذته بالجامعة لينفتح أمامه المستقبل الواعد و الذي حرص علي تحقيقه و الإبقاء عليه من خلال إجتهاده و نبوغه في العمل لينتقل من هذا المصرف إلي أخر يفوقه حجماً و هكذا دواليك حتي إستقر به الحال في المصرف الذي يعمل به حالياً و مقره إمارة "دبي" في دولة "الإمارات العربية المتحدة".

غرق "معتز" في سعيه المحموم هذا من أجل مستقبل أفضل و أكثر أمناً و من أجل أن يجمع من الأموال قدر المستطاع نكايةً فيما شعر به من قبل من العجز و الضعف أمام والدة "ريهام", و بين نجاحات "معتز" التي ما إنفك يحققها الواحدة تلو الأخري أخذت تلك الأشياء الصغيرة البسيطة الجميلة تنسل من بين يديه رويداً رويداً, تلك الأشياء التي تعطنا دائماً القدرة علي الإحساس بجمال الحياة مثل الأحلام السعيدة كحلم الزفاف الذي إعتاد "معتز" أن يراوده دائماً في أيام صباه هذا الحلم الذي ما عاد يراوده إلا فيما ندر, لم يعد يشعر بالسعادة التي قد يحسها أي رجل أعذب أخر عندما تبتسم له زميلته الجميلة في العمل تلك الإبتسامة الصافية كلما ساعدها علي المرور من مأزق في العمل, لم يعد يشعر بالسعادة حتي عندما يري تلك الأشياء التي من المفترض أن تشعرنا بالسعادة بالفطرة التي خلقنا الله عليها مثل السعادة برؤية طفل يضحك, السعادة برؤية قطرات المطر و هي ترتطم بزجاج النافذة و أنت تقف

خلفها في الدفء, السعادة برؤية زهرة تتفتح و تميل مع سقوط أشعة الشمس عليها, كل تلك اللحظات الجميلة التي تشعرنا بآدميتنا قد فقدت تأثيرها الخلاب عليه, لم يعد لها وجود في حياته الجافة الممتلئة بالأرقام و المعاملات الحسابية المعقدة و الصفقات و القرارات اليومية القاسية و التي تخلوا من الإحساس في معظم الأوقات, ذابت تلك اللحظات الجميلة و الأحاسيس السعيدة فلم تجد لها ما يبقيها علي قيد الحياة, لم تجد من يروي ظمأها وسط حياته الجافة القاسية, ذابت و أختفت كما لو كانت لم يكن لها وجود عنده من قبل.

إستمر الحال علي هذا المنوال طوال سنوات عمل "معتز" بالخليج حتي جاء ذلك اليوم عندما أصر رفقائه في العمل علي أن يقوموا بالإحتفال به بمناسبة إتمامه لعامه الخامس و الثلاثون و ذلك بإقامة حفل صغير في أحد المطاعم المشهورة بمدينة "دبي", و لم يعطوه أية فرصة للإعتذار أو إختلاق أعذار واهية لكي يتمكن من الهروب من هذا الإلتزام السعيد كعادته معهم في الهروب من كل تلك المناسبات السعيدة منذ يومه الأول معهم بالعمل و خاصة إنه قد مرت خمس سنوات منذ أن حظي "معتز" بأجازة طويلة يعود خلالها إلي وطنه "مصر" لينعم برؤية والديه, مرت تلك الخمس سنوات علي "معتز" فلم يشعر بمرورهم, مروا كما لو كانوا قد سرقوا منه علي غفلة منه و هو منغمس حتي أذنيه في العمل الدؤوب.

بدأ "معتز" يستعد لهذا الحفل في شقته الواسعة الأنيقة, تلك الشقة التي أمضي بها آخر ستة أعوام من أعوام إغترابه عن بلاده و أحبابه, تلك الأعوام التي بلغت ما يقرب من إثنتي عشر عاماً بأكملهم, أمضاهم وحيداً بلا رفيق أو صديق, أمضاهم يسعي وراء الرزق الوفير و الحياة الكريمة.

دلف "معتز" إلي دورة المياه ليحظي بإستحمام منعش و عندما إنتهي منه و وقف أمام المرآة ليصفف شعره الأسود الناعم هاله ما رآه !!!!

- ما هذا الذي أراه ؟؟

- أتلك شعيرات بيضاء تلك التي تخللت خصلات شعري الأسود الفاحم ؟؟؟

- متي و كيف ظهرت تلك الشعيرات و لماذا ؟؟؟

- هل مرت سنون العمر بتلك السرعة لتسمح بإنبات تلك الشعيرات في رأسي ؟؟؟

- هل بدأ المشيخ يتسلل إلي خصلات شعري فقط أم هل بدأ يتسلل إلي روحي أيضاً ؟؟؟؟

– ثم ماذا عن حياتي ؟؟؟ ماذا أنجزت بها ؟؟؟ هل حظيت بحياة كريمة و مستقبل واعد ؟؟؟؟ نعم ...فعلت.

– هل جمعت من المال ما يكفيني و يغنيني عن السؤال ؟؟؟ نعم ... فعلت .... ثم ماذا ؟؟

– هل أحببت ؟؟؟ هل حُببت ؟؟؟ كلا.... إذن أنا وحيد ... نعم أنا وحيد ... إذا ما جدوي تلك الأموال الكثيرة و الحياة الرغدة الكريمة التي أعيشها بمفردي ؟؟؟

– هل شعرت بالسعادة مع كل هذا النعيم و الترف ؟؟؟؟ كلا ... و كيف أستمتع بها و أنا وحيد بلا زوجة بلا عائلة بلا حب.

تصارعت حروف تلك التساؤلات و الإستفسارات في عقل و قلب "معتز" و هو مازال يتحسس بأصابعه تلك الشعيرات البيضاء في رأسه لتنهي صراعها و قد أجبرته علي أن يسمح لتلك الدمعات أن تنسال علي وجهه ليهوي بكل ما أوتي من قوة بيده و هي تحتوي علي تلك العبوة المعدنية لسائل الحلاقة الرغوي علي المرآة لتحطمها تحطيما و تدفع أشلائها للتناثر في أرجاء دورة المياة, كما تدافعت أشلاء روح "معتز" لتغطي كل أرجاء حياته الحزينة الوحيدة في تلك اللحظة من المصارحة الحقيقية مع نفسه, ترك "معتز" دورة المياه بأشلاء المرآة المنتشرة بها و بيد تنزف حزناً قبل أن تنزف دماً ليتجه إلي غرفة نومه و يلتقط هاتفه المحمول

من جانب فراشه, هذا الفراش الذي طالما أواه منفرداً ليقوم بالإتصال بوالدته التي فزعت في بداية الأمر من تلك المكالمة الغير تقليدية في هذا الموعد غير المحدد مسبقاً, حيث إعتاد ولدها أن يحدثها في ميعاد محدد من كل إسبوع, لينقلب ذعرها إلي فرحة عارمة عندما أخبرها وحيدها أنه يرغب في النزول علي رغبتها القديمة في أن يحظي بزوجة علي الفور و إنه قد ألقي عليها بعبء أن تقوم بالبحث له عن عروس مناسبة ذات جمال و أخلاق و ثقافة و أصل طيب يليق بهم لكي يقوم بخطبتها حال وصوله بالأجازة الإستثنائية التي سيقوم بها في الشهر القادم من أجل هذا الأمر, أملي "معتز" مطلبه هذا لوالدته و هو يحدق بغضب إلي فراشه و هو يعتصر هاتفه لتزداد سرعة تساقط قطرات الدماء من يده كأنه يخبر هذا الفراش اللعين أن الأيام التي إعتاد إن يفترسه فيها بمفرده بدون رفيق وحيداً, قد أوشكت علي الإنقضاء و أن هناك من ستقوم في القريب العاجل بملئ هذا الفراغ في هذا الفراش, هذا الفراغ الذي دام طويلاً و طويلاً.

و قد كان و هاهو "معتز" يفلت من براثن ذكرياته التي سقط فريسة لها طوال تلك الدقائق العشرون الذي قضاها بجانب والديه ينتظرون بصحبة والد العروس في غرفة الصالون الأنيقة تلك أن تطل عليهم عروسه المنتقاه و التي إختارتها له والدته بعدما قضت أيام و أسابيع تبحث بين كل فتيات العائلات المحترمة اللاتي يقبعن في دائرة معارفها و أقاربها,

لتتناولهم بالفحص و التدقيق و التقصي كما لو كانت تاجر دمشقي ماهر مما برعوا في تجارة الجواري في تلك العصور الغابرة و هو يبحث عن جارية رائعة ليهديها إلي أحد ملوك الشام.

ليقع إختيارها في النهاية علي تلك الفتاة "ملك" تلك الفتاة الجميلة المهذبة و المثقفة و التي حازت مؤخراً علي شهادة الماجستير من الجامعة الأمريكية حيث أنهت دراستها و تعمل كأستاذة في كلية الإقتصاد و العلوم السياسية بنفس الجامعة, لتكمل بذلك صورة تلك الفتاة التي تتجاوز كل المقاييس و المعايير التي وضعها "معتز" و والدته في الفتاة التي يرغب في الزواج منها, لكن تبقي تلك اللحظة الفاصلة التي ينتظرها "معتز" طوال جلسته, تلك اللحظة التي سيراها مُقدمةً عليه ليري ما إذا كانت صورتها الأولي ستشق طريقها سريعاً من عينيه لتستقر في عقله و قلبه معلنةً أن تلك الفتاة هي الفتاة التي تصلح لكي تكون عروس حلم زفافه القديم أم لا.

تمر تلك اللحظة سريعاً عندما تدلف العروس "ملك" و والدتها إلي الغرفة ليعلن بريق عينين "معتز" و إبتسامته العريضة أن "ملك" قد نجحت في الجلوس إلي جانبه علي أريكة حفل الزفاف لينتفض قائماً و يمد يده ليصافحها و تمر في تلك اللحظة كهرباء ضعيفة ما بين أنامل الإثنين مثيرة لتلك الدغدغة اللذيذة في قلبيهما معلنة بدأ قصة الحب تلك و التي لعلها تكون الأخيرة لبطلنا "معتز".

تمر تلك الجلسة سريعاً لينصرف "معتز" و والديه و قد إتفقا علي كل التفاصيل المبدئية مع والدي العروس وسط مباركة و فرحة من الجميع حتي "ملك", تلك الفتاة التي يعرف عنها والديها العناد و قوة الشخصية و التي إكتفت بتخضب وجنتيها بحمرة الخجل و الإستسلام غير المبرر و هي تحدق في الأرض و هي تدعهم يتحدثون عن فضائلها, و يستمعون في ذات الوقت إلي والدي "معتز" و هم يعددان فضائل ولدهم و مميزاته أيضاً, فتسترق "ملك" النظر خلسة عدة مرات لترمق "معتز" لتجده و قد عجز أن يحرك عينيه بعيداً عنها و لو للحظة و علي ملامح وجهه الوسيم تختلج كل علامات العشق و الهوي اللذان وقع في بحريهما منذ اللحظة الأولي التي وقعت عينيه عليها, و يتم التوطيد علي هذا الإنجذاب السريع الخاطف الذي حدث بينهما عندما سرت الدغدغة اللذيذة مرة أخري بين أناملهما و هو يصافحها مودعاً بعدما تم الإتفاق علي موعد في الأسبوع القادم ليتم إعلان خطبتهما.

تمر الأيام سريعاً و تُعلن خطبة كل من "معتز" و "ملك" وسط حفل صغير أقامه والدي "ملك" في منزلهما الفخم الواسع و لم يحضره سوي بعض الأقارب المقربيين من العائلتين, هؤلاء الأقارب الذين لم يتذكر "معتز" من منهم قام بالحضور إلي الحفل أو من لم يحضر و هو يغوص بعقله و قلبه في عينين عروسه الجميلتين معتصراً يدها في يده و هي تجلس إلي جواره علي أريكة واحدة و قد تُوجت أيديهم بتلك الدبلتين و

الخاتم الماسي الذي أهداه "معتز" لعروسه في يوم خطبتهم, لينتهي الحفل البسيط بسلام و قد تأكد لكل من العروسين أن كلاهما قد وقع في عشق الآخر بدون أية مقدمات أو أسباب عقلانية, لقد أحبا بعضهما البعض و كفي بذلك سبباً.

يبدأ "معتز" في اليوم التالي عقب إعلان خطبته علي "ملك" في محاولة لسبر أغوار عروسه و معرفة كل ما يتعلق بها في ذلك الوقت الضيق المتبقي من أجازته قبل أن يسافر مرة أخري ليعود إلي عمله حتي يتسني له القيام بإعداد منزل الزوجية الذي سيستضيف عروسه الجميلة في العام القادم عندما يقوم بعقد قرانه عليها خلال أجازته المقبلة.

و في إحدي الكافيتريات الراقية المطلة علي النيل جلس "معتز" و "ملك" يتحدثان في محاولةٍ من كل منهما لمعرفة الآخر أكثر فأكثر, لتتكشف أمام "معتز" شخصية "ملك" القوية المطلعة علي العديد من الأمور و جوانب الحياة و بالأخص الشق الإجتماعي و السياسي بالبلاد و بدرجة قد يجدها البعض أكثر من اللازم, لكن "معتز" علل ذلك لنفسه بأن هذا الأمر طبيعي حيث أن طبيعة و فحوي دراسة "ملك" تحتم عليها أن تكون أكثر وعياً و تفتحاً لتلك المدارك السياسية و الإجتماعية و بالأخص بعد حصولها علي درجة الماجستير و سعيها لنيل درجة الدكتوراة, لكن الحوار الذي دار بين "معتز" و "ملك" في ذلك اليوم بدأ في إثارة بعض من الهواجس و القلق في عقل "معتز" حيث أن هذا الحوار الذي توقع

"معتز" أن يطفو بهم تجاه الرومانسية و الحب و الزواج و ربما قليلاً تجاه بعض الأمور المادية و الإجتماعية المتعلقة بترتيبات و إستعدادات الزفاف, وجده و قد جنح بهم إلي السياسة و حال البلاد و إتضح من سياق الحوار نِقمة " ملك" الشديدة علي البلاد و الفساد الذي يضرب بجذوره في كل أرجائها و كيف أن النظام يسعي سعياً حثيثاً نحو نهايته طالما كان مصراً علي إنتهاك آدمية و إنسانية مواطنيه, و بلا جدوي حاول "معتز" إدارة دفة الحديث إلي إتجاه آخر بعيداً عن هذا البحر الشائك الخاص بالسياسة لكن هيهات فإصرار "ملك" علي المضي قدماً في سرد أرائها و فكرها السياسي كان في صلادة الحديد, بل علي النقيض فقد إتهمته "ملك" بالسلبية و الأنانية نظراً لإصراره علي تغيير مجري الحديث و التحدث عما يخصهم هم فقط دون الإهتمام بحال البلاد و أهلها.

تفاقم الموضوع أكثر فأكثر بعد ذلك مع إصرار "ملك" علي إصطحاب "معتز" معها في جميع نشاطاتها السياسية من ندوات سياسية أو مؤتمرات شعبية أو صالونات أدبية و ثقافية ينظمها أحد الأحزاب السياسية اليسارية و الذي قد إنتمت إليه "ملك" إبان دراستها بالجامعة و إستمرت "ملك" بالعمل السياسي من خلال هذا الحزب أو من خلال الإنضمام أيضاً إلي بعض الحركات الشبابية السياسية و التي ظهرت مؤخراً كرد فعل طبيعي لكم القمع و الفساد و الظلم الذي إستشري في البلاد, و رغم محاولات

"معتز" العديدة و المتكررة لإثناء "ملك" عن نشاطها السياسي هذا لكي تتفرغ له قليلاً و تساعده علي الترتيب و التنسيق لحياتهم المقبلة, حيث أن الأيام الباقية له حتي تنتهي أجازته و يعود لعمله خارج البلاد قليلة و لا تكاد تكفي حتي لتعميق علاقتهم تمهيداً لزواجهم بالعام القادم في أجازته المقبلة كما تم الإتفاق من قبل, إلا إن كل تلك المحاولات بائت بالفشل الذريع مع تمسك "ملك" بنمط حياتها و كانت المفاجأة الكبيرة بعد ذلك عندما أخبرته أن فكرة سفرها خارج البلاد معه بعد زواجهما فكرة غير مقبولة فهي لن تستطيع التخلي عن حياتها بتلك السهولة و إنه عليه هو إن كان يرغب في بالزواج بها أن يفكر جدياً في إنهاء سنوات إغترابه و أن يعود إلي بلاده لكي يؤدي واجبه تجاه بلاده و تجاهها هي الأخري.

أثار هذا القرار المفاجئ فزع "معتز" هل هذا ممكن أن ينهار حلمه أمام عينيه من جديد للمرة الثالثة !!! المرة الثالثة ؟؟ كيف هذا ؟؟؟ كيف ؟؟؟ في المرة الأولي كان لا يزال صغيراً و لم يكن يملك من أمره شيئاً علي الإطلاق و في المرة الثانية كان أكبر قليلاً لكن لم يكن يملك سوي تفوقه و حبه لكن الآن و قد أصبح رجلاً ناضجاً يملك ناصية أمره و لديه من المال و المقومات الأخري ما يجعله يحارب من أجل الحفاظ علي حبه الأخير !!! و لكن ماذا فعل بكل هذا ؟؟ ماذا فعل ؟؟ لم يفعل أي شيء إكتفي بالإستماع لكل ما قالته "ملك" و تركها تتصرف بعدما ألقت إليه

بقرارها هذا كما لو قامت بإلقاء جلمود من الصخر ليهوي عليه و يقوم بتفتيت و تقويض حلمه الثالث من الأساس !!! هذا لن يكون و الله لن يكون, هكذا حدث "معتز" نفسه مخبراً إياها إنه لن يترك "ملك" تفعل به ما فعلته و إنه سيقوم بمهاتفتها و إجبارها علي مقابلته و عندها سيقوم بإقناعها بالعدول عن قراراها هذا أو علي الأقل سيتوصلان معاً إلي حل وسطي يرضي جميع الأطراف.

أمسك "معتز" بهاتفه و قام بالإتصال بـــ" ملك" و إنتظر قليلاً حتي أجابت عليه و كان صوتها غير واضح تشوبه بعض الرياح و الأصوات المختلطة الصاخبة كمن تقف في الهواء الطلق وسط حشد كبير من الناس فتسائل "معتز" قائلاً :

– "ملك" إنت فين ؟؟؟

– "معتز" في حاجة مهمة ؟؟؟ أنا مش فاضية دلوقتي....

تجيبه "ملك" و أصوات هتاف غير واضحة تتردد كخلفية صوتية لمحادثتهما.

– إنتِ فين يا "ملك" و إيه أصوات الهرج و المرج إللي حواليكِ ده ؟؟؟

تسائل "معتز" و قد أصبح القلق و التوتر هو الغالب في نبرة صوته.

– أنا و معايا الشباب قدام وزارة الداخلية, علشان قضية "خالد سعيد", ما إنت عارف.

أجابت "ملك" و صوت الهتافات تتزايد من خلفها و قد أصبحت أكثر وضوحاً بحيث أصبح "معتز" يستطيع فهم معظمها مثل:

" لو كان خالد ابن وزير كانت راس العادلي تطير"

" يا حبيب دارى خيانتك..خالد سعيد جزمته برقبتك "

" يا حرية فينك فينك..أمن الدولة بينا و بينك"

" هو مبارك عايز إيه؟ عايز الشعب يبوس رجليه يامبارك مش هنبوس.. بكرة الشعب عليك هيدوس"

– قدام وزارة الداخلية إنتِ أكيد إتجنيتي يا "ملك" حتودي نفسك في داهية.

أجابها "معتز" و قد أصبح الذعر هو المتحكم الأول في نبرة صوته و إنفعالاته.

– "معتز" تفتكر ده وقته , لو سمحت أنا مش فاضية لو في حاجة مهمة يا ريت تقول!!!

أجابت "ملك" و صوت الهتافات حولها تتزايد و قد بدأت بعض الأصوات من خلفها تتعالي و هي تنشد النشيد الوطني للبلاد.

– طبعاً في حاجة مهمة, بخصوص موضوع إمبارح و السفر لازم نتكلم و نوصل لحل.

أجابها "معتز" و قد بدأ الغضب يقوم مقام الذعر في نبرة صوته.

– "معتز" ده مش وقته أبداً, أديك سامع إللي حوليا.... "يسقط يسقط حسني مبارك" .

ردت "ملك" علي "معتز" لتعقب كلامها مرددةً هذا الهتاف مشاركةً لمن حولها.

– لازم أقابلك دلوقتي, مفيش وقت.

قالها "معتز" و هو يعض بأسنانه علي شفتيه في غيظ.

– خلاص تعاللي.

أجابته "ملك" في سرعة و حسم.

– أجيلك فين ؟؟ إنت إتجنيتي عايزاني أجيلك في مظاهرة علشان نتكلم في موضوع زي ده.

هتف "معتز" و هو يصرخ في غضب عارم.

– ده إللي عندي يا "معتز" سلام دلوقتي.

أنهت "ملك" المكالمة بهذه الطريقة لتترك "معتز" و نيران الغيظ تلتهمه إلتهاماً. دقائق إستغرقها "معتز" قبل أن يتخذ قراره بأن يرتدي ملابسه علي عجاله و يلقي نفسه أمام عجلة القيادة في تلك السيارة التي إستأجرها منذ أن وصل إلي البلاد لتقيه شر إستخدام المواصلات العامة لينطلق لا يلوي علي شيء حتي وصل إلي موقع وزارة الداخلية ليجد الطريق إليها و قد أقفل بالعديد من الأطواق الأمنية, فيضطر مجبراً علي ترك سيارته بعيداً و الترجل متخذاً العديد من الطرق الجانبية و الملتوية حتي إستطاع أن يصل إلي قلب المظاهرة ليجد "ملك" و قد توسطت بضع من زميلاتها و هم يهتفون بأعلي صوتهم ضد وزير الداخلية و ضد النظام و ضد القمع و ضد الظلم و ضد القتل فيحاول أن يقترب منها في صعوبة, فما أن رأته "ملك" حتي لوحت له فرحة بقدومه و أشارت إليه ليقترب منها و هي تخاطب بضعة شباب كانوا يحيطون بها هي و زميلاتها كنوع من الحماية و التأمين ضد هجمات المتحرشين و الغوغاء من رجال الداخلية أو البلطجية التابعين لهم, إقترب "معتز" من "ملك" في صعوبة بالغة ليجذبها من ذراعاها طالباً منها أن يتركوا هذا المكان و أن يتوجهوا إلي أي مكان يستطيعون التحدث فيه بعيداً عن كل هذا, لتجذب

"ملك" ذراعها مخلصةً إياها من قبضته و صارخةً فيه إنها لن تتحرك من مكانها حتي تنتهي فعاليات التظاهرة.

إضطر "معتز" مجبراً أن يمكث بجوار "ملك" حتي ينتهي مبتغاها و هو يراقب حماسها الشديد و همتها في الهتاف بدون خوف أو توتر في حين إنه هو الرجل قد إمتلئ قلبه حتي كاد يفيض من كثرة الهلع و الرعب اللذان يشعر بهما جراء مرأي و مسمع تلك الكتل السوداء المتراصة أمامهم و التي تصدر تلك الهمهمات المرعبة و هم يطرقون بهراواتهم علي دروعهم في منظر كفيل بإلقاء الرعب في قلوب أعتي الرجال, لينتقل بعينيه ما بين "ملك" و رفاقها حيث يقف بينهم و بين هؤلاء الرجال المتشحين باللون الأسود في ملبسهم و قلوبهم و المحيطين بهم و اللاتي تظهر ملامح وجوهم الجامدة ما لا يطمئن.

شاخصا البصر أخذ "معتز" مراراً و تكراراً يحاول إقناع "ملك" بمغادرة المكان قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه دون جدوي. و في النهاية كان ما كان عندما أعطي أحد الضباط ممن يقفون علي جانبي تلك التكتلات من الجنود أوامره للجنود بالهجوم علي المتظاهرين, لينطلقوا كما لو كانوا مجموعة من الوحوش الضارية التي قام من يقوم بتدريبها بالحرص علي أن لا تذوق الطعام لفترة طويلة لكي تكون قادرة علي إفتراس من سيطلقهم عليه في التو و اللحظة.

وسط الركلات و القبضات و قنابل الغاز التي إنهالت كالمطر في لحظة خاطفة علي جميع كل من كانوا بالتظاهرة من شباب و كبار السن و حتي الأطفال المراهقيين كان "معتز" هناك يحاول أن يذود بجسده عن "ملك" لكي لا ينالها أي أذي مما يحيط بهم, ليجد من يهوي علي رأسه بتلك الضربة التي أوقعته أرضاً و ما زال جسد "ملك" أمامه فيحاول "معتز" أن يقف مرة أخري لتهوي علي رأسه ضربة أخري أقوي من سابقتها ليهوي أرضاً كبالون قد فرغ من الهواء فجأة و تنهال عليه العديد من الركلات و الضربات ليبدأ وعيه في التلاشي رويداً و هو يسمع صوت صراخ "ملك" يبتعد شيئاً فشيئاً.

إستيقظ "معتز" من غيبوبته ليجد نفسه في هذا الوضع المؤلم حيث نصفه العلوي و قد أصبح عارياً تماماً بعدما جرده أحدهم من ملابسه و قُيدت ذراعيه إلي هذا الجسد الخشبي بحيث أصبحت ذراعيه مرفوعتين جانباً و ثبتت رأسه إلي هذا الجسد الخشبي لتنظر دائماً إلي الأمام, فكان كما لو كان "معتز" يحتضن هذا الجسد الخشبي, أخذت المفاجأة بعقل "معتز" للحظات من هول موقفه قبل أن يبدأ بالصراخ راجياً أن يقوم أي أحد بتحريره مما هو فيه, إستمر صراخه لدقائق مرت عليه كالساعات قبل أن يتوقف عن الصراخ عندما سمع صرير باب الغرفة التي تحتويه هو و عروسه الخشبية تلك يـــأن معلناً أن هناك من يدلف إلي الغرفة الآن, يصمت "معتز" للحظات و عندما لم يجد من يتحدث إليه صرخ مناديا:

– في حد هنا ؟؟؟ فكوني, رابطني كده ليه ؟؟؟؟ أنا عملت إيه ؟؟؟؟ فكوني .

– مش عارف إنت هنا ليه يا ..... أمك ؟؟؟؟

أجاب صراخ "معتز" هذا الصوت الساخر الفظ.

– لا و الله ما أعرف, حضرتك قولي ؟؟؟ أنا هنا ليه ؟؟؟

باكياً تسائل "معتز" و قد بدأت دموعه تغمر وجهه من شده ألام جراحه و كدماته التي تملأ جسده و التي بدأ يحس بها الآن بعدما إنحسر عنه الإحساس بالمفاجأة من موقفه الحالي.

– إنت هنا في أمن الدولة يا ..... أمك, علشان تقولنا إيه إللي وداك المظاهرة دي إنت و الأمورة إللي كنت لازق فيها في المظاهرة.

أجابه هذا الصوت الساخر مرة أخري بنبرة شديدة العنف و الوقاحة.

– دي خطيبتي يا أفندم, و حتبقي عروستي قريب و أنا كنت رايحلها علشان نتكلم في موضوع جوازنا.

أجابه "معتز" و قد غمرت دموعه جسده بالكامل حتي إنها قد بللت الأرض من تحته.

– عروستك مين يا حبيبي؟ دي بقت عروستنا النهاردة و دخلتها برضه النهاردة بس حتبقي دخلة جماعي, أما إنت عروستك بقي أهي إنت في حضنها و دخلتها عليك حتبقي النهاردة.

رد الصوت صارخاً و صاحب صراخه صوت فرقعة قوية لم يفهمها "معتز" في تلك اللحظة إلا عندما صاحب صوت الفرقعة الثانية لهيب من نار كان يشق جلد ظهره.

– لأأ.

صرخ بها "معتز" و ذلك السوط في يد الصوت الغامض يمزق في ظهره و يلتهم من لحم ظهره ما يلتهم و يبصق الدماء لتغرق ظهره و من بعيد إرتفع صوت صريخ لأنثي, لم يستطع "معتز" في باديء الأمر أن يتعرف صوت هذا الصريخ الأنثوي لكنه وسط صراخه هو نفسه و السوط الغاضب يجري و يرتوي من دمائه إستطاع أن يتعرف صوت "ملك" و هي تصرخ ليصرخ هو الآخر كما لو كان يناجيها مناجاة الأحبة مناجاة الأزواج, لكنها للأسف لم و لن تصبح عروسه بعد الآن, فعروسه أصبحت كما لم يحلم بها من قبل, أصبحت عروسه التي طالما حلم أن يضمها إلي صدره هي هذه العروس الخشبية قاسية الملمس الملطخة بالدماء و التي يحتضنها بالرغم عنه بدون حفل زفاف بدون أي شيء بدون حلم بدون حتي عروسة.

الإسكندرية في ٢٠١٤/٠١/٠٢

العروسة

مجموعة قصصية

وميض الأمل	٧
طلبات البيت	١٥
قنبلة الغاز	٢٥
خمسة جنيهات و نصف	٤٥
البدلة البيضاء	٧٣
يوميات زوجة مطحونة	١٠٣
العروسة	١٣٣

تمت الطباعة بصورة شخصية

في

٢٠١٤/٠٣/١٦

العروسة
مجموعة قصصية
كتابي الأول أصيغ فيه بعض من
المعاني الراسخة في قلبي و
عقل و التي صالت و جالت في
وجداني نظرا السنوات العجاف
التي تمر بها بلادي بعدا من
ثورة الخامس و العشرين من
يناير و مرورا بكل الأحداث التي
مرت بنا خلال العامين التاليين
لها أقوم بتجسيدي تلك
المعاني في بعض من القصص
القصيرة و الساخرة و التي قد
يلومونني البعض عليها لكن
صدقوني واقعنا أكثر مرارة و
سخرية.
الكاتب
عمرو حبيب
JAN
2011
ثورة
الغضب